من أخلاق النصر
في جيل الصحابة

الدكتور السيد محمد نوح

تقديم :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وأصحابه والسالكين سبيله والداعين بدعوته إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن الأمانة التي حملناها ـ نحن المسلمين ـ ضخمة وكبيرة ، إذ هي الشهادة على العالمين كما يقول سبحانه : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة : 143) وقوله (مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) (الحج : 78) .

والشهادة على العالمين تقتضي أن نقيم الإسلام في أنفسنا أولاً ، فنعمر الأرض إلى حد السيادة فيها ، وتكون هذه العمارة مصحوبة بالنزول على حكم الله في كل ما نأتي وما ندع كما يقول سبحانه : (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ) (هود : 61) ، (يا عباد فاتقون) (الزمر : 16) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران : 102) .

كما تقتضي أن ندل البشرية على الله ، ونأخذ بأيديها ونعمل على إخراجها من الظلمات إلى النور بكل الأساليب والوسائل الممكنة شريطة ألا تتعارض مع مبادئ ديننا الحنيف من الأسوة والقدوة ، والكلمة الطيبة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما يقول سبحانه : (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...)(النحل : 125) ، (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) (آل عمران : 104) وتقتضي كذلك أن نفسح الطريق أمام الناس كي يكونوا أحرارا فيما يختارون وذلك بمجاهدة الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ، قال تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه) (الأنفال : 39) .

وما تقتضيه هذه الأمانة من مهام وتكاليف على النحو الذي ذكرنا ليس بالأمر الهين ولا بالأمر اليسير ، لاسيما إذا عرفنا أننا نتعامل مع نفس بشرية متنوعة الميول والغرائز ولابد من إشباع هذه الميول وتلك الغرائز جميعا كل في ميدانه وفي حدود الضوابط الشرعية وأن الشيطان قاعد لنا بكل طريق بل يجري منا مجرى الدم وقد وضع خرطومه على قلوبنا إن ذكرنا خنس ، وإن

نسينا وسوس، وقد اتخذ له أعواناً من الإنس يحاصروننا بالليل والنهار ، وابتكر هؤلاء من أساليب الدعاية والإغراء ما استطاعوا به ملاحقتنا حتى في مخادع النوم ، ثم هذه الدنيا التي أقبلت على الناس ببريقها وزخارفها وزيناتها بشدائدها، وابتلاءاتها ، وامتحاناتها ، ثم صيرورة قيادة البشرية اليوم في أيدي من لم يحسنوا إلى أنفسهم فضلاً عن أن يحسنوا إلى غيرهم من البشر ثم طول الطريق.

إن الأمر يقتضي أن تكون هناك معينات ومسليات على الطريق . والمعينات والمسليات كثيرة ، بيد أن أهمها وأبرزها يتمثل في معايشة التاريخ الإسلامي في كل مراحله ، ومع كل أشخاصه ورموزه . وتأتي سيرة الصحابة وجهادهم في قمة هذا التاريخ ، إذا هؤلاء هم بدايته - حقا - زماناً ومنزلة . وقد شهد لهم بذلك ربهم ونبيهم ، فقال سبحانه (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة : 100) (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (الفتح : 29) .

وقال صلى الله عليه وسلم (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .. الحديث)(1) (لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)(2) إلى غير ذلك من النصوص ، وما أكثر هذه النصوص.

وانطلاقاً من ذلك كانت هذه الدراسة حول : (أخلاق النصر في جيل الصحابة) وإني لأرجو من الله - عز وجل - أن تؤدي دورها في شحذ الهمم وتقوية العزائم ، وتصويب

مسيرتنا ، وتعديل خطانا على الطريق ، فنكون أهلا لنصر الله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ {4} بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {5} وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) (الروم : 4 - 6) ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو محمد السيد محمد نوح

ـ (1) (الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الشهادات : باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد 224/3 ، وكتاب المناقب : باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم 302/5 ، وكتاب الرقاق : باب ما يحذر من زهوة الدنيا والتنافس فيها 113/8 ، وكتاب الإيمان : باب إذا قال : أشهد بالله أو شهدت بالله وباب إثم من لا يفي بالنذر 176/8 من حديث عبدالله بن مسعود بلفظه ، ومن حديث عمران بن حصين بنحوه ، ومسلم في : الصحيح : كتاب فضائل الصحابة : باب فضل ـ الصحابة ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم 1962/4 - 1965 رقم 210 - 216 من حديث عبدالله بن مسعود ، وعمران بن حصين ، وأبي هريرة ، وعائشة به وبنحوه .

-(2) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب المناقب : باب من فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم 10/5 من حديث أبي سعيد الخدري بهذا اللفظ ، ومسلم في : الصحيح :

= كتاب فضائل الصحابة : باب تحريم سب الصحابة 1967/4 - 1968 رقم 221 ، 222 من حديث أبي هريرة وأبي سعيد به ، وبنحوه .

((من أخلاق النصر في جيل الصحابة))

بين يدي هذه الأخلاق :

شهدت كتب التاريخ والسير أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ورضوا عنه ـ عاشوا أعلا مراتب النصر والتأييد ، ومن عجب أن هذا النصر وذلك التأييد

ما كانا في ميدان دون ميدان ، وفي وقت دون وقت ، وإنما كانا في كل الميادين، وفي كل الأوقات .

لقد عاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع النفس الأمارة بالسوء فألجموها بلجام الاستقامة والتقوى، وحملوها على التوبة والإنابة إلى الله إن هي تمردت على هذا اللجام .

وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع العدو في أرض المعركة بحيث تمت لهم الغلبة على هذا العدو في أقصر وقت ، وبأقل التكاليف وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع شيطان الجن القاعد لهم بكل طريق ، والمتربص بهم الدوائر ، فلم يسمعوا لوساوسه وإغراءاته ، ولم يعبئوا بكيده وعاشوا هذا النصر ، وذلك التأييد مع الدنيا ببريقها ، وزخارفها وزهرتها فلم تفتنهم ، ولم تشغلهم لحظة واحدة عن ربهم . وهكذا كان النصر حليفهم ، وكان التأييد ديدنهم أينما ـ حلوا ، وكيفما حلوا .

وما من شك من أن الناصر والمؤيد لهؤلاء الأصحاب من كل وقت وفي كل ميدان إنما هو الله الذي بيده مقاليد السموات والأرض والذي إذا أفضى أمراً فإنما يقول له : كن فيكون .

بيد أن هذا النصر وذلك التأييد من الله لهم لم يكن عن محاباة أو مجاملة فأنه سبحانه لا يحابي ولا يجامل ، وإنما كان بسبب من هؤلاء لقد تحلى هؤلاء بطائفة من الأخلاق كانت هي السبب في نزول النصر عليهم ، والتأييد لهم من ربهم ، وتبقى هذه الطائفة من الأخلاق إلى قيام الساعة سبباً في حصول النصر والتأييد من الله شريطة الالتزام والتحلي بها وفي الصفحات التالية عرض لأهم أخلاق النصر في جيل الصحابة خلقاً بعد خلق مع التأكيد على سبيل التحلي به ، ودونك هذه الأخلاق .

الخلق الأول

إخلاص الوجهة والعمل لله

لقد وعى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال معايشتهم لكتاب ربهم ولنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم أن إخلاص الوجهة والعمل لله ضرورة لابد منها للظفر بعون الله وتأييده لهم في كل معركة خاضوها ويخوضونها مع أعدائهم سواء من داخل نفوسهم أو من خارجها ، إذ سمعوا الله - عز وجل - يقول: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)(البقرة : 112) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد : 7) (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) (الحج : 38) (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الزمر : 65) (وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (المائدة : 5) وسمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة ، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة)) (1).

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب فرض الخمس : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم أحلت لكم الغنائم 104/4 ، وكتاب التوحيد : باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، وباب قول الله تعالى . قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي 166/9 ، 168 من رواية أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي =

وعي الصحابة ذلك وتمثلوه في أنفسهم ، وظهرت آثاره في سلوكياتهم وأعمالهم : هذا شداد بن الهادي يقول : جاء رجل من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه ، فقال : أهاجر معك ، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه ، وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ،

وكان يرعى ظهرهم (1) فلما جاء دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما على هذا اتبعتك ، ولكني اتبعتك على أن أرمى ههنا - وأشار إلى حلقه - بسهم ، فأموت ، فأدخل الجنة ، فقال : (إن تصدق الله يصدقك) ، ثم نهضوا إلى قتال العدو ، فأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل ، وقد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أهو ، هو ؟) فقالوا : نعم ، قال : صدق الله فصدقه ، ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدمه ، فصلى عليه ، وكان مما ظهر من صلاته عليه : (اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك ، فقتل شهيداً ، وأنا شهيد عليه) (2)

= هريرة مرفوعاً بتمامه . وكتاب الجهاد : باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله 18/4 من رواية سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ : (مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم .. الحديث).

ومسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله 3/1495–1496 رقم 103 ، 104 من حديث أبي هريرة مرفوعاً به ، وبنحوه 107 لفظ : (تضمن الله لمن خرج في سبيله : حتى قال : (لو لا أ، اشق على أمتي ما تخلفت خلاف سرية تغزو في سبيل الله تعالى ، والنسائي في : السنن : كتاب الجهاد : باب ما تكفل الله - عز وجل - لمن يجاهد في سبيله 16/6 - 17 من حديث أبي هريرة مرفوعاً به ، وبنحوه ، وباب ثواب السرية التي تحقق 18/6 من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعاً بلفظ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه - عز وجل - قال : أيما عبد من عبادي خرج مجاهداً في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له أن أرجعه ، إن أرجعته بما أصاب من أجر أو غنيمة ، وإن قبضته غفرت له ورحمته ، وكتاب الإيمان باب الجهاد 119/8 - 120 من حديث أبي هريرة مرفوعاً به وبنحوه ، وابن ماجه في : السنن : كتاب الجهاد : باب فضل الجهاد في سبيل الله

920/2 رقم 2953 من حديث أبي هريرة مرفوعاً بنحوه ، والدرامي في : السنن : كتاب الجهاد : باب فضل الجهاد 200/2 من حديث أبي هريرة مرفوعاً بنحوه ، والترمذي في السنن : كتاب فضائل الجهاد : باب ماجاء في فضل الجهاد 164/4 - 165 رقم 1620 من حديث أنس - رضى الله عنه - مرفوعاً بلفظ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله - عز وجل - : (المجاهد في سبيل الله هو على ضامن إن قبضته أورثته الجنة ، وإن رجعته رجعته بأجر أو غنيمة) ، وعقب عليه بقول : (هو صحيح غريب من هذا الوجه) ومالك في الموطأ : كتاب الجهاد : باب الترغيب في الجهاد ص 294 رقم 965 من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، وأحمد في : المسند 117/2 من حديث ابن عمر المذكور آنفاً عند النسائي ، 231د ، 384 ، 399 ، 494 من عدة طرق ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً به ، وبنحوه .

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني رجل أسود اللون ، قبيح الوجه ، لا مال لي ، فإن قاتلت

---

(1) ظهرهم : إبلهم التي يحمل عليها وتركب ، يقال : عند فلان ظهر : إبل ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 59/3.

(2) الحديث أخرجه النسائي في : السنن : كتاب الجنائز وتمني الموت : باب الصلاة على الشهداء 634/1-635 رقم 1/2080 قائلاً : أنبأنا سويد بن نصر ، قال انبأنا عبدالله بن المبارك ، عن ابن جريج قال أخبرني عكرمة بن خالد أن ابن أبي عمار أخبره عن شداد بن الهادي أن رجلاً من الأعراب . وساق الحديث بنحوه ، وعقب عليه بقوله : (ما نعم أحداً تابع ابن المبارك على هذا ، والصواب ابن أبي عمار ، عن ابن شداد بن الهادي ، وابن المبارك أحد الأئمة ، ولعل الخطأ من غيره ، والله أعلم) ، والحاكم في : المستدرك : كتاب معرفة الصحابة : باب ذكر شداد بن الهاد - رضي الله عنه - 595/3 - 596 بنحوه ، وسكت عنه الذهبي في : التلخيص . وأورده الشيخ : محمد يوسف المعروف بالكاندهلوي في : حياة الصحابة : باب إخلاص النية في الجهاد في سبيل الله : قصة رجل من الأعراب 496/1 نقلاً عن ابن كثير في البداية والنهاية الذي عزاه إلى البيهقي ، والنسائي ، وكذلك عن الحاكم في : المستدرك . وأورده المنذري في : الترغيب والترهيب : كتاب الجهاد : باب الترغيب في إخلاص النيه في الجهاد 300/2 وعزاه إلى النسائي .

هؤلاء حتى أقتل : أدخل الجنة؟ قال : نعم ، فتقدم فقاتل حتى قتل ، فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتول ، فقال : (لقد حس الله وجهك ، وطيب ريحك ، وكثر مالك) ، وقال ، (لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبة عليه ، يدخلان فيما بين جلده وجبته) (1) وهذا عبدالله بن جحش يقول لسعد بن أبي وقاص يوم أحد : ألا ندعو الله ؟ فخلوا في ناحية ، فدعا سعد ، فقال : يا رب إذا لقيت العدو فلقني رجلاً شديداً بأسه ، شديداً حرده (2) أقاتله ويقاتلني ، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله ، وآخذ سلبه ، فأمن عبدالله بن جحش ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك غدا قلت : من جدع أنفك ، وأذنك ؟ فأقول : فيك ، وفي رسولك صلى الله عليه وسلم فتقول : صدقت ، قال سعد لبنيه : يا بني : كانت دعوة عبدالله بن جحش خيراً من دعوتي : لقد رأيته آخر النهار ، وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط) (3) .

---

(1) الحديث أخرجه الحاكم في : المستدرك : كتاب الجهاد : باب علو درجة الجهاد على غيرها 93/2 - 94 من حديث أنس بن مالك مرفوعاً بنحوه ، وعقب عليه بقوله : (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ، ووافقه الذهبي على ذلك في تلخيص المستدرك . وأورده المنذري في : الترغيب والترهيب : كتاب الجهاد : باب الترغيب في الشهادة وما جاء في فضل الشهداء 324/2 ، وعزاه إلى الحاكم في : المستدرك ، وأورده الدكتور يوسف القرضاوي في : المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري 405/1 رقم 749 ، وأورده الشيخ محمد يوسف المعروف بالكاندهلوي في : حياة الصحابة : باب إخلاص النية في الجهاد في سبيل الله : قصة رجل أسود 496/1 - 497 نقلا عن : البداية والنهاية لابن كثير .

(2) شديداً بأسه : شديداً حربه وعذابه ، انظر : المعجم الوسيط 36/1 ، وشديداً حرده : شديداً غضبه ، وغيظه ، انظر : المعجم الوسيط 165/1 .

(3)الحديث أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : كتاب المناقب : باب فضل عبدالله بن جحش ـ رضي الله عنه - 301/9–302 من حديث سعد بن أبي وقاص - وعزاه إلى الطبراني ، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف المعروف بالكاندهلوي =

وهذا أبو هريرة - رضي الله عنه - كان يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟

فيقول : أصيرم بن يعبد الأشهل : عمرو بن ثابت بن وقش ، قال الحصين - اسم لأبي هريرة - قلت لمحمود بن لبيد : كيف كان شأن الأصرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه ، فلما كان يوم أحد بدا له فأسلم ، ثم أخذ سيفه ، فغدا حتى دخل في عرض الناس ، فقتل حتى أثبتته الجراحة - أي أثقلته فلم يتحرك - ، قال : فبينما رجال من بني عبدالأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصرم ما جاء به ؟ لقد تركناه ، وإنه لمنكر لهذا الحديث - أي

الإسلام ـ فسألوه : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحدب على قومك ـ يعني : أعطفا وشفقة على قومك ـ أم رغبة في الإسلام ؟ فقال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلت حتى أصابني ما أصابني ، فلم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه من أهل الجنة)(1).

= في حياة الصحابة 509/1 ـ 510 ، وزاد : (وهكذا أخرجه البغوي كما في :الإصابة 287/2،وابن وهب كما في : الاستيعاب 274/2 ، والبيهقي 207/6 مثله ، وهكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية 109/1 ، إلا أنه لم يذكر دعاء سعد،واقتصر على دعاء عبدالله ، وأخرجه الحاكم في المستدرك 200/3 من حديث سعيد بن المسيب قال : قال عبدالله بن جحش رضى الله عنه : اللهم أقسم عليك أن ألقى العدو غداً فيقتلوني ، ثم يبقروا بطني فيجدعوا أنفي وأذني ثم تسألني بم ذلك ؟ فأقول فيك قال : سعيد بن المسيب : إني لأرجو أن يبر الله آخر قسمه كما بر أوله ، قال الحاكم : هذا حديث على شرط الشيخين لو لا إرسال فيه ، وقال الذهبي : مرسل صحيح ، وهكذا أخرجه ابن شاهين ، وابن المبارك في : الجهاد ، كما في الإصابة 287/2 ، وأبو نعيم في الحلية 109/1 ، وابن سعد 63/3).

(1) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 495/1 نقلاً عن البداية والنهاية ، والإصابة ، وأورد تعقيب ابن حجر عليه : أن إسناده رواه جماعة من =

وجاء في رواية أخرى أن عمرو بن أقيش كان له رباً في الجاهلية ، فكره أن يسلم حتى يأخذه ، فجاء في يوم أحد ، فقال : أين بنو عمي ؟ قالوا : بأحد ، قال : بأحد ، فلبس لامته ـ يعني عدة الحرب ـ وركب فرسه ، ثم توجه قبلهم ، فلما رآه المسلمون قالوا : إليك عنا يا عمرو ، قال : إني قد آمنت فقاتل قتالاً شديداً حتى جرح ، فحمل إلى أهله جريحاً ، فجاءه سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ فقال لأخيه سلمة ـ حمية لقومه ، أو غضباً لله ولرسوله ؟ قال : بل غضباً لله ورسوله ، فمات فدخل الجنة ، وما صلى لله صلاة) (1).

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله : غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد ، وانكشف المسلمون فقال : اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال: يا سعد بن معاذ : الجنة ورب النضر ، إني أجد ريحها من دون أحد ، قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به بضعاً

وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل ، وقد مثل بـــــه

= طريق ابن إسحاق . وأورده الهيثمي في : مجمع الزوائد : كتاب المناقب : باب ما جاء في عمرو بن ثابت عرف بالأصيرم - رضي الله عنه - 9/362-363 من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، وعقب عليه بقوله : (رواه أحمد ورجاله ثقات).

(1) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الجهاد : باب فيمن يسلم ويقتل مكانه في سبيل الله تعالى 3/43 رقم 2537 ، وعنه نقل الحافظ الذهبي في : تاريخ الإسلام قسم المغازي ص 184-185 ، وأورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة نقلاً عن ابن حجر في الإصابة ، وقد عزاه ابن حجر بدوره إلى أبي داود والحاكم ، وعقب عليه بقوله : (هذا إسناد حسن) 1/495-496.

المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه ، فقال أنس : كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه :

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(23) (1)،(2) . ومن وجه آخر عن أنس - رضي الله عنه - قال : (عمي سميت به ولم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قال : فشق عليه ، وقال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه ، ولئن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع ، قال : فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، قال : فاستقبل سعد بن معاذ ، فقال له أنس : يا أبا عمرو أين ؟ واهاً لريح الجنة أجده دون أحد ، قال : فقاتلهم حتى قتل ، فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة ، وطعنة ، ورمية ، قال : فقالت أخته : عمتي الربيع بنت النضر ، فما عرفت أخي إلا ببنانه : ونزلت هذه الآية : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (3)

---

(1) سورة الأحزاب : الآية 23 .

(2) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الجهاد : باب قول الله تعالى : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً 4/23 من حديث حميد الطويل ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - بهذا اللفظ ، وكتاب المغازي : باب غزوة أحد 5/122 من حديث حميد عن أنس بنحوه ، وكتاب التفسير : سورة الأحزاب : باب (فمنهم من قضى نحبه) 6/146 من حديث ثمامة عن أنس بن مالك مختصراً ، والسنن الكبرى للنسائي : كتاب التفسير : سورة الأحزاب : باب قوله تعالى :(فمنهم من قضى نحبه) 6/430 - 431 رقم 1/11403 من حديث حميد عن أنس مختصراً ، وأورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 1/504-505 من حديث أنس بهذا اللفظ ، وعزاه إلى البخاري ومسلم والنسائي نقلاً عن الترغيب والترهيب للمنذري : وهو عند الترمذي 5/325 .

(3) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب ثبوت الجنة للشهيد =

والصور كثيرة لا تحصى . والعبرة من هذه الصور : أن علينا - نحن المسلمين اليوم - أن نجاهد أنفسنا ، وأن نحملها حملاً على التحلي بهذا الخلف كي يكون النصر حليفنا ، والتوفيق رائدنا ، وحتى ننجو ونفوز غداً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، بما أعده الله للمخلصين إذ يقول سبحانه: (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) (طه : 112) ، (فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ) (الأنبياء : 94) .

وإذا حدثتنا نفوسنا بغير هذا ، فعلينا أن نذكرها بهذه المذكرات :

1ـ أ، الله مطلع ، يعلم ، ويسمع ، ويرى ، يقول سبحانه : (وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) (الأنعام : 3) ، (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (آل المجادلة : 1) (قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران : 29) ، (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر : 19) ، (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) (الأحزاب : 51) ، (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) (النمل : 74).

2ـ وأنه لابد من فضيحة الدنيا قبل الآخرة لكل من راءوا الناس بأعمالهم أو سمعوهم هذه الأعمال ، ولم يكن لهم من ورائها إلا حظ النفس ، إذ يقول النبي

= 1512/3 رقم 1903 (148) من حديث ثابت عن أنس بهذا اللفظ ، والترمذي في : السنن : كتاب تفسير القرآن : سورة الأحزاب : باب منه 325/5 - 326 رقم 3200 ، 3201 من حديث ثابت ، وحميد كلاهما عن أنس واللفظ لمسلم ، وعقب الترمذي على حديثه بقوله : (هذا حديث حسن صحيح) . والنسائي في : السنن : كتاب المناقب : باب أنس بن النضر - رضي الله عنه - 795 رقم 8291 من حديث سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس بنحوه .

صلى الله عليه وسلم : (من سمع سمع الله به ، ومن يرائي يرائى الله به)(1) (يا عبدالله بن عمرو : إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً ، وإن قاتلت مرائياً مكاثراً بعثك الله مرائياً مكاثراً ، يا عبدالله بن عمرو : على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تيك الحال) (2) .

3ـ وأن الهزيمة التي وقعت وحلت بنا نحن المسلمين اليوم من صنع أيدينا ، إذا الله يغار ، (إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (يونس : 44) .

4ـ وأن عدم الإخلاص محيط للعمل : قليله وكثيرة ، ونحن بذلك نضيع على أنفسنا جهاد سنوات وسنوات ، إذ يقول سبحانه : (وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) (طه : 111) ، (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا) (الفرقان : 23) . ويقول صلى الله عليه وسلم .

(لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة فيجعلها الله هباء منثوراً ، أما إنهم إخوانكم ، ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها) (3) .

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الرقاق : باب الرياء والسمعة 130/8 من حديث جندب ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الزهد : باب من أشرك في عمله غير الله 2289/4 رقم 2986 من حديث ابن عباس ، واللفظ للبخاري .

(2) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الجهاد : باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا 14/2 - 15 رقم 2519 من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً بهذا اللفظ .

(3) الحديث أخرجه ابن ماجه في : السنن : كتاب الزهد : باب ذكر الذنوب 1418/2 رقم 4245 من حديث أبي عامر الالهاني ، عن ثوبان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لأعلمن أقواماً من أمتي ... الحديث ، وقال عنه البوصري في : مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه 246/4 : (هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات وأبو عامر الإلهاني اسمه : عبدالله بن غابر) .

5ـ وأن الذين يعملون لغير الله هم أول من تسعر بهم النار ، فقد جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : (إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة : رجل استشهد فأتى به ، فعرفه نعمته فعرفها ، قال : ما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجه حتى ألقى في النار ، ورجل تعلم العلم ، وعلمه ، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال : كذبت ن ولكنك تعلمت العلم ليقال : إنك عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى به في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به فعرفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا

أنفقت فيها لك : قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى به في النار)(1).

6ـ وأن المرائين سيكونون قرناء يوم القيامة في نار جهنم خالدين فيها أبداً وحسبنا خبر (قزمان) ، إذ يقول قتادة ـ رضي الله عنه ـ كان فينا رجل أتي ـ أي غريب ـ ولا يدري من هو ـ يقال له : (قزمان) ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكر : إنه لمن أهل النار . قال : فكلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً ، فقتل هو وحده : ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بائس ، فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفر ، قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر ، قال : فبماذا أبشر ؟ فوالله

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار 1513/3 - 1514 رقم 1905 ، والنسائي في : السنن : كتاب الجهاد : باب من قاتل ليقال : فلان جرئ 23/6 - 24 ، وأحمد في : المسند 321/2 - 322 كلهم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً به وبنحوه ، واللفظ لمسلم .

إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت ، قال : فلما اشتد عليه الجراحة أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه (1) . ويقول سبحانه : (الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (الزخرف : 67) .

نذكرها بهذه المذكرات وغيرها فلعلها ترعوى ، وتنزجر ، وتخاف الله ، وتقدره حق قدره وتلتزم بإخلاص الوجهة والعمل لله .

ونجتهد مع هذا ألا نهملها فترة طويلة بغير تفتيش ومحاسبة ، بل لابد من التفتيش فيها ، ومحاسبتها مع كل عمل ، ومع كل نفس ، ومع كل خاطر ونطلب من بعضنا البعض أن تكون عيوننا مفتوحة على هذه النفوس ، بحيث إذا رأينا ما يدل على عدم الإخلاص كان النهي ، والزجر ، والتخويف ، وكان قبول النصيحة مع الرضا والدعاء ، ورحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي .

وأخيراً نطلب من الله العون والتسديد مع الاحتماء بحماه ، واللجوء إليه كثيراً ، وترديد هذا الدعاء باستمرار : (اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه)(2).

---

(1) الحديث أورده الحافظ الذهبي في : تاريخ الإسلام : قسم المغازي : غزوة أحد ص 204 - 205 من حديث عاصم بن عمر بن قتادة ، وعزاه إلى ابن إسحاق.

وأورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 494/1 - 495 نقلاً عن ابن كثير في : البداية والنهاية .

(2) الحديث أخرجه الإمام أحمد في : المسند 403/4 من حديث أبي علي - رجل من بني كاهل - قال : خطبنا أبو موسى الأشعري فقال : يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقال إليه عبدالله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا : والله لتخرجن مما قلت ، أو لنأتين عمر ، مأذون لنا أو غير مأذون ، فقال : بل أخرج مما قلت : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : (يا أيها الناس اتقوا هذا=

.....

.....

= الشرك ... الحديث) وأورده المنذري في : الترغيب والترهيب : باب الترهيب من الرياء ، وما يقوله : من خاف شيئاً منه 76/1 ، وعقب عليه بقوله : (ورواه أحمد والطبراني ، ورواته إلى أبي علي محتج بهم في الصحيح ، وأبو علي وثقه ابن حبان ، ولم أر أحداً جرحه ، ورواه أبو يعلي بنحوه من حديث حذيفة إلا أنه قال فيه : يقول : كل يوم ثلاث مرات) .

الخلق الثاني
اتباع السنة

ووعي الصحابة أيضاً أنه لابد من اتباع السنة كي يحبوهم الله بالنصر والتأييد إذ سمعوا الله - عز وجل - يقول : (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف - 110) ، وسمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (1) ، (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواخذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة)(2) سمعوا هذا وغيره ، وامتلأت به نفوسهم فإذا هم يتمثلونه واقعاً عملياً في دنيا الناس هذا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يشاور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن قتال المرتدين من العجم

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الصلح : باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود 241/3 ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الأقضية : باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور 1343/3 - 1344 رقم 1718 (17،18) كلاهما من حديث عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً بهذا اللفظ ، وزاد مسلم في روايته الثانية أن سعد بن إبراهيم قال : سألت القاسم بن محمد عن رجل له ثلاثة مساكن ، فأوصى بثلث كل مسكن منها قال : يجمع ذلك كله في مسكن واحد ، ثم قال : أخبرتني عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .

(2) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب السنة : باب في لزوم السنة 13/5–14 رقم 4607 من حديث خالد بن معدان قال حدثني عبدالرحمن بن عمرو السلمي ، =

وما نعى الزكاة من العرب ، فيجتمع رأي المهاجرين ، ومنهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنهم - ويقولون : (يا خليفة رسول الله : اترك الناس يصلون ولا يؤدون الزكاة ، فإنهم لو دخل الإيمان في قلوبهم لأقروا بها) .

فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : (والذي نفسي بيده لأن أقع من السماء أحب إلي من أن أترك شيئاً قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أقاتل

عليه) فقاتل العرب حتى رجعوا إلى الإسلام ، فقال عمر : (والذي نفسي بيده لذلك اليوم خير من آل عمر) (1) .

ولما فرغ المسلمون من بيعة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - واطمأن الناس ، قال أبو بكر لأسامة - رضي الله عنهما - امض لوجهك الذي بعثك له رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه رجال من المهاجرين والأنصار ، وقالوا : أمسك

= وحجر بن حجر قالا أتينا العرباض بن سارية - وهو ممن نزل فيه (ولا على الذين إذا ما آتوك لتحملهم قلت : لا أجد ما أحملكم عليه) ، فسلمنا ، وقلنا : أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين ، فقال العرباض : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة زرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ؟ قال : (أوصكم بتقوى الله ... الحديث ، وأخرجه الترمذي في : السنن : كتاب العلم باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدع 5/43-44 رقم 2676 .

وابن ماجه في : السنن : المقدمة : باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين 1/15–16 رقم 42 ، و43 وليس في حديثهما ذكر حجر بن حجر ، غير أن الترمذي أشار إليه تعليقاً ، وعقب على حديثه بقوله : (هذا حديث حسن صحيح).

(1) الحديث أورده علاء الدين المتقي الهندي في : كنز العمال 3/141 ، وعزاه إلى العدني من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - موقوفاً ، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في حياة الصحابة 1/418 .

أسامة وبعثه ، فإنا نخشى أن يميل علينا العرب إذا سمعوا بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر - وكان أحزمهم أمراً - أنا أحبس جيشاً بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اجترأت على أمر عظيم ، والذي نفسي بيده لأن تميل على العرب أحب إلى من أن أحبس جيشاً بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمض يا أسامة في جيشك للوجه الذي أمرت به ، ثم أغز حيث أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية فلسطين ، وعلى أهل مؤتة ، فإن الله سيكفي ما تركت ، ولكن إن رأيت أن تأذن لعمر بن الخطاب فأستشيره ، واستعين به ، فإنه ذو رأي ، ومناصح للإسلام فافعل . ففعل أسامة ، ومضى لوجهه الذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصيب في الغزو مصيبة عظيمة - يعني كان الغزو نعم ، الرأي - وسلمه الله وغنمة هو وجيشه ، وردهم صالحين (1).

وهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - تقول له ابنته حفصة : (يا أمير المؤمنين لو لبست ثوباً هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك فقد وسع الله - عز وجل - من الرزق ، وأكثر من الخير) .

فقال : (إني سأخاصمك إلى نفسك ، أما تذكرين ما كان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة العيش ، فمازال يذكرها حتى أبكاها ، فقال لها : (والله إن قلت ذلك ، أما والله لئن استطعت لأشاركنهما بمثل عيشهما الشديد ، لعلي أدرك معهما عيشهما الرخى - يشير بذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر الصديق - رضي الله عنه وأرضاه -)(2).

وطاف مرة بالبيت ، ثم وقف عند الركن أو الحجر الأسود وقال : (أما والله

---

(1) الحديث أورده المتقي الهندي في : كنز العمال 314/5 ، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 412/1 - 413 .

(2) الحديث أورده أبو نعيم في : حلية الأولياء 148/1.

إنـي لأعلـم أنـك حجـر لا تضـر ولا تنفـع ، ولـولا إنـي رأيـت رسـول الله اسـتلمك مـا اسـتلمتك ، فاسـتلمه ، ثـم قـال : فمـا لنـا وللرسـول : إنمـا كنـا راءينـا بـه المشـركين ولقـد أهلكهـم الله . ثـم قـال : شـيء صـنعه النبـي صـلى الله عليـه وسـلم فـلا نحـب أن نتركـه (1) وهذا ابـن عمـر ـ رضـي الله عنهمـا ـ يقـول عنـه ابـن سـيرين : كنـت مـع ابـن عمـر بعرفـات فلمـا كـان حـين راح رحـت معـه ، حتـى أتـى الإمـام فصـلى معـه الأولـى والعصـر ، ثـم وقـف وأنـا وأصـحاب لـي حتـى أفـاض الإمـام فأفضـنا معـه ، حتـى انتهـى إلـى المضـيق دون المـأزمين (2) فأنـاخ وأنخنـا ، ونحـن نحسـب أنـه يريـد أن يصـلي ، فقـال غلامـه الـذي يمسـك راحلتـه إنـه لـيس يريـد الصـلاة ، ولكنـه ذكـر أن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم لمـا انتهـى إلـى هـذا المكـان قضـى حاجتـه ، فهـو يحـب أن يقضـي حاجته (3).

وكـان يـأتي شـجرة بـين مكـة والمدينـة فيقيـل تحتهـا ، ويخبـر أن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك (4) .

وكان ـ رضي الله عنه ـ في سفر ، فمر بمكان فحاد عنه ، فسئل لم فعلت ذلك ؟

---

(1) الحـديث أخرجـه البخـاري فـي : الصـحيح : كتـاب الحـج : بـاب الرمـل فـي الحـج والعمـرة 185/2 مـن حديث أسلم عن عمر بهذا اللفظ .

(2) المـأزمين : تثنيـة مـأزم بهمـزة ألـف ، فـزاي مكسـوره ، وهـو كـل طريـق ضـيق بـين جبلـين المـراد بـه هنـا الطريـق التـي بـين الجبلـين اللـذين فمـا بـين عرفـة والمزدلفـة وثنيـت لأن فيهـا انعطافـاً ، فصـارت كـالطريقين ، أو أطلـق ذلـك علـى الجبلـين لاكتنافهمـا بتلـك الطريـق تجـوزا للمجـاورة هـذا هـو الظـاهر مـن إطلاقهـم ، انظـر : حاشـية العلامـة ابـن حجـر الهيثمـي علـى شـرح الإيضـاح فـي مناسـك الحـج للإمـام النووي ص 306 ، 313 ، الصحاح في اللغة والعلوم لأسامة المرعشلي وأخيه ص18.

(3) الحـديث أورده المنـذري فـي : الترغيـب والترهيـب : بـاب الترغيـب فـي اتبـاع الكتـاب والسـنة 82/1 ـ 83 مـن حـديث ابـن سـيرين عـن ابـن عمـر بهـذا اللفـظ ، وعقـب عليـه بقولـه : (رواه أحمـد ورواتـه محتج بهم في : الصحيح) .

(4) الحـديث أورده المنـذري فـي : الترغيـب والترهيـب : بـاب الترغيـب فـي اتبـاع الكتـاب والسـنة 82/1 من حديث ابن عمر بهذا اللفظ ، وعقب عليه بقوله : (رواه البزار بإسناد لا بأس به).

قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ففعلت (1).

ويقـول نـافع ـ كـان ابـن عمـر فـي طريـق مكـة يقـول بـرأس راحلتـه ـ يعنـي يأخـذ بـرأس راحلتـه ـ يثنيهـا ، ويقـول : لعـل خفـا يقـع علـى خـف ـ يعنـي : خـف راحلـة النبـي صـلى الله عليـه وسـلم (2) ولقـد دفـع هـذا عائشـة ـ رضـي الله عنهـا ـ أن تقـول : (مـا كـان أحـد يتبـع آثـار النبـي صـلى الله عليـه وسـلم فـي منازلـه ، كمـا كـان يتبع ابن عمر)(3) .

وأن يقول نافع : (لو نظرت إلى ابن عمر - رضي الله عنهما - إذا اتبع آثر النبي صلى الله عليه وسلم لقلت : (إنه مجنون) (4) .

وهذا محمد بن أسلم ، أو أسلم بن أسلم بن بجرة أخو الحارث بن الخزرج - رضي الله عنه - وكان شيخاً كبيراً قد حدث نفسه ، يقول : إن كان ليدخل المدينة فيقضي حاجته بالسوق ثم يرجع إلى أهله ، فإذا وضع رداءه ذكر أنه لم يصل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ، فإنه - أي النبي صلى الله عليه وسلم - قد قال لنا : (من هبط منكم هذه القرية فلا يرجعن إلى أهله حتى يركع في هذا المسجد ركعتين) ثم يأخذ رداءه فيرجع إلى المدينة حتى يركع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين (5) إلى غير ذلك من الوقائع

---

(1) الحديث أورده المنذري في : الترغيب والترهيب : باب الترغيب في ابتاع الكتاب والسنة 82/1 من حديث مجاهد عن ابن عمر بهذا اللفظ ، وعقب عليه بقوله : (رواه أحمد والبزار بإسناد جيد) .

(2) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 374/2 نقلاً عن أبي نعيم في الحلية .

(3) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 374/2 نقلاً عن ابن سعد في الطبقات .

(4) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 374/2 نقلاً عن أبي نعيم في : حلية الأولياء.

(5) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 359/2 نقلاً عن : الإصابة =

الدالة على صدق الصحابة مع الله في اتباع السنة الأمر الذي كان سبباً من أسباب عون الله وتأييده لهم ونصره .

وإذا عرفنا نحن المسلمين هذا فإن علينا أن نجتهد ونجاهد أنفسنا ، ونحملها حملاً على ابتاع السنة ، ومجانبة البدعة في كل شأن من شئون الحياة من السواك إلى الجهاد إلى لا إله الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نكون وحدنا أو مع الناس أقارب كانوا أو أباعد ، كي نظفر بالنصر والتمكين في الدنيا ، ونفوز غداً بالجنة والرضوان .

وإذا حدثتنا نفوسنا بغير هذا فعلينا أن نذكرها بما يأتي :

1ـ النصوص القرآنية والنبوية الآمرة بوجوب محبته صلى الله عليه وسلم والمحذرة من معصيته صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى :

(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (آل عمران : 31) (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور : 63) ، وكقوله صلى الله عليه وسلم :

(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (1) .

(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (2) .

2ـ وأن هذه النفوس قاصرة لا تعرف أين المصلحة ، وأين المضرة ؟ وإذا كانت هذه حالها ، فليس أمامها إلا النزول على حكم الله ، وحكم رسول الله ظاهراً وباطناً فإن الله هو الذي يعلم المفسد من المصلح ، وهو الذي أرسل

= لابن حجر الذي عقب عليه بقوله : (وأخرجه بن ، وقال : غريب والطبراني إلا أنه سماه : مسلم بن أسلم) ، وكذلك نقلاً عن : كنز العمال للمتقي الهندي من حديث عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن محمد بن أسلم بهذا اللفظ .

(1)(2) الحديثان سبق تخريجهما .

رسوله بالهدى ، وأمر باتباعه فقال : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) (الحشر : 7) .

3ـ وأن للإعراض عن السنة ، والغرق في البدعة ، واتباع الهوى آثاراً ضارة : وعواقب وخيمة ، قال تعالى : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (القصص : 50) (وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) (الجن : 17) .

4ـ وأن الأمم ذات العز والسلطان كفارس والروم ، والشيوعية الحمراء اليوم زال عنها عزها وسلطانها بسبب بعدها عن وحي السماء ، وتحاكمها إلى الأهواء عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه قال : لما فتحت قبرس فرق بين أهلها ، فبكى بعضهم إلى بعض ، فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي ، فقلت ، يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله فقال : ويحك يا جبير : ما أهون الخلق على الله ـ عز وجل ـ إذا أضاعوا أمره ، بينما هي أمة قاهرة ، ظاهرة ، لهم الملك ، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى (1).

5ـ وأنه لابد من الوقوف على أحوال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على النحو الذي قدمنا ، وكذلك على أقوال وأحوال من بعدهم من العلماء والمجاهدين إلى يومنا هذا فإنها أضواء ومعالم على الطريق .

6ـ وأن سبيل التمكين وطريق النصر الحقيقية إنما تكمن في ابتاع السنة بالإضافة إلى ما قدمنا ، وما سيأتي بعد .

---

(1) الحديث أورده ابن القيم في : الداء والدواء ص57 وعزاه إلى أحمد من حديث جبير بن نفير بهذا اللفظ .

يقول أبو القاسم الجنيد : (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتع سنته ، ولزم طريقه ، فإن طريق الخيرات كلها مفتوحة عليه) .

ويقول أبو العباس بن عطاء : (من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم في

أوامره ، وأفعاله ، وأخلاقه ، والتأدب بآدابه قولا ، وفعلاً ، وعرفاً ، وعقداً ونية) .

7ـ وأنه لابد من إلقاء هذه النفوس بين المعروفين باتباع السنة ، والمحافظين عليها مع تفويضهم في المناصحة والتنبيه ، وحمل هذه النفوس على قبول النصحية والعمل بها إن كان هناك إعراض ، أو تحول ، أو تقصير .

8ـ وأنه لابد من التفتيش دائماً في النفوس لإصلاح عيوبها أولاً بأول مع الاستعانة التامة بالله أن يوفق هذه النفوس إلى اتباع السنة وأن يجنبها خطر الابتداع ، ثم الإلحاح عليه في الدعاء أن يعيننا على أنفسنا فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله يحب الملحين في الدعاء) (1) ، ولعل صدقنا في تعاطي هذا الدواء يعيننا على اتباع السنة والاقلاع عن البدعة ، فيكون العون والتأييد من الله ، ويكون النصر التميكن .

---

(1) الحديث أورده ابن القيم في : الدار والدواء ص8 ، وعزاه إلى الأوزاعي من حديث عائشة مرفوعاً .

الخلق الثالث

((تطهير وتزكية النفس))

ووعى الصحابة أيضاً حقيقة ما قرره القرآن الكريم ، وطبقه الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وسلم عملياً من أن تطهير وتزكية النفس هما أساس التغيير المنشود ، وأساس النجاح والنصر في الدنيا ، والفوز والفلاح في الآخرة .

إذ يقول الله ـ عز وجل ـ في كتابه : (إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد : 11) ، (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا) (الشمس : 9) ، (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى {14} وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى {15}(الأعلى : 14 - 15) ، (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت : 69) ، (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ

مَخْرَجًا) (الطلاق : 2) (يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الأنفال : 29) ،وإذ يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقوم من الليل حتى تورمت قدماه من طول القيام ، ولما سئل في ذلك أجاب بقوله : (أفلا أكون عبداً شكوراً) ، وكان يواظب على صوم التطوع ، الاثنين والخميس من كل أسبوع ، وأيام البيض : الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر ، ويوم عاشوراء ، والستة من شوال ، وكان يدخل على أهله في بعض الأيام ، ويسأل : هل عندكم من طعام فيقلن : لا ، فيقول : اللهم إني صائم ، ولوعد العاد ما كان يتطوع به من العام الواحد لوجده أكثر من مائة وخمسين يوماً بالإضافة إلى رمضان ، ومعنى هذا أنه كان يصوم أكثر من نصف العام الهجري ، وكان صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يأتيه جبريل يدارسه القرآن ، فلهو أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان دائم الذكر لله - عز وجل - في كل ظروفه وأحواله وأحايينه ، وكانت الصلاة ، وتلاوة القرآن في هذه الصلاة مبعث سلوته ، وفرحه ، وسروره ، واستبشاره وانشراح صدره ، حتى كان يقول لبلال إذا حزبه أو ضايقه أمر من الأمور (ارحنا بها يا بلال) ، وكان يقول عنها كذلك : (وجعلت قرة عيني في الصلاة) ، وكان صمته فكراً ، ونطقه ذكراً ، ونظره عبرة .

وعلى الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ذلك كله ، فعملوا جاهدين على تمثله في أنفسهم ، بحيث صار : واقعاً ملموساً يتحرك في دنيا الناس وتتحدث عنه كتب التراجم والسير والتواريخ ، وتتناقله الأعداء في مجالسهم الخاصة والعامة ، وفي كتبهم .

هذا عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة ، ثم يقول لهم : (الصلاة) ، ويتلو هذه الآية : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) (1) ،وقال الحسن : تزوج عثمان ابن أبي العاص امرأة من نساء عم بن الخطاب ، فقال : والله ما نكحتها حين نكحتها رغبة من مال ، ولا ولد ، ولكن أحببت أن تخبرني عن ليل عمر ، فسألها : كيف كانت صلاة عمر بالليل ؟ قالت :

كان يصلي العتمة ، ثم يأمر أن نضع عند رأسه تورا (2) من ماء نغطيه ،ويتعار

(1) الحديث أخرجه مالك في : الموطأ : كتاب صلاة الليل . باب ما جاء في صلاة الليل ص94 من حديث زيد بن أسلم ، عن أبيه عن عمر بهذا اللفظ .
(2) التور : إناء من صفر (نحاس) أو حجارة . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 120/1 مادة (تور) .

من الليل ، فيضع يده في الماء ، فيمسح وجهه ويديه ، ثم يذكر الله ما شاء أن يذكر ، ثم يتعار مراراً حتى يأتي على الساعة التي يقوم فيها لصلاته ، فقال ابن بريدة من حدثك ؟ قال : حدثتني بنت عثمان بن أبي العاص ، فقال : ثقة(1).

وعن أبي غالب قال : كان ابن عمر ينزل علينا بمكة ، فكان يتهجد من الليل ، فقال لي ذات ليلة قبل الصبح ، يا أبا غالب : ألا تقوم فتصلي ، ولو تقرأ بثلث القرآن ، فقلت : قددنا الصبح ، فكيف أقرأ بثلث القرآن ؟ فقال : إن سورة الإخلاص (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تعد ثلث القرآن (2) .

وعن نافع قال : كان ابن عمر يحي الليل صلاة ، ثم يقول : يا نافع : أسحرنا ؟ فيقول : لا ، فيعاود الصلاة ، ثم يقول : يا نافع أسحرنا ؟ فيقول : نعم ، فيقعد ، ويستغفر ، ويدعو حتى يصبح(3) .

وعن علقمة قال : بت مع عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ليلة ، فقام أول الليل ، ثم قام يصلي ، فكان يقرأ قراءة الإمام في مسجد حيه ، يرتل ولا يرجع ، يسمع من حوله ، ولا يرجع صوته ، حتى لم يبق من الغلس إلا

(1) الحديث أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد : كتاب المناقب : باب عبادة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ 73/9 من حديث الحسن عن بنت عثمان بن أبي العاص ، عن عثمان بن أبي العاص بهذا اللفظ ، وعزاه إلى الطبراني قائلاً : (رواه الطبراني ورجاله ثقات) ومعنى : (يتعار) يستيقظ مع كلام .
(2) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 144/3 باب تهجد عبدالله ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ نقلاً عن أبي نعيم في حلية الأولياء .

(3) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 144/3 باب تهجد عبدالله بن عمر نقلاً عن أبي نعيم في حلية الأولياء ، وابن حجر : الإصابة ، وقد قال عنه ابن حجر : إسناد أبي نعيم جيد ، وأخرجه الطبراني مثله ، ورجاله رجال الصحيح غير أسد بن موسى ، وهو ثقة .

كما بين آذان إلى الانصراف منها ثم أوتر (1) .

وعن طارق بن شهاب أنه بات عند سلمان - رضي الله عنه - لينظر ما اجتهاده ، قال : فقام يصلي من آخر الليل ، فكأنه لم ير الذي كان يظن فذكر ذلك له ، فقال سلمان : حافظوا على هذه الصلوات الخمس ، فإنهن كفارات لهذه الجراحات ما لم تصب المقتلة ، إذا صلى الناس العشاء صدروا عن ثلاث منازل : منهم من عليه ولا له ، ومنهم من له ولا عليه ، ومنهم من لا له ولا عليه ، فرجل اغتنم ظلمة الليل ، وغفلة الناس فركب فرسه في المعاصي فذلك عليه ولا له ، ومن له ولا عليه فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فقام يصلي فذلك له ولا عليه ، ومن لا له ولا عليه ، فرجل صلى ، ثم نام ، فلا له ولا عليه ، إياك والحقحقة (2) ، وعليك بالقصد وداومه) (3) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا دخل البيت نشر المصحف ، فقرأ فيه (4) .

وعن الحسن - رضي الله عنهما - قال : قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا ، وأني لأكره أن يأتي

---

(1) الحديث أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد : كتاب الصلاة : باب الجهر بالقرآن وكيف يقرأ 266/2 - 267 من حديث علقمة بن قيس عن أبن مسعود به وعقب عليه بقوله : (رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح) .

(2) الحقحقة : هي أشد السير ، وقيل : هي أن يجتهد في السير ، ويلح فيه حتى تعطب راحلته أو تقف ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر 243/1 .

(3) الحديث أورده المنذري في : الترغيب والترهيب : كتاب النوافل : باب الترغيب في قيام الليل 437/1 ، وعزاه إلى الطبراني في الكبير قائلاً : (رواه الطبراني في الكبير موقوفاً بإسناد لا بأس له ، ورفعه جماعة) .

(4) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 285/3 من حديث ابن عباس نقلاً عن كنز العمال.

على يوم لا أنظر في : المصحف ن وما مات عثمان - رضي الله عنه - حتى خرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه (1) .

وعن حبيب بن الشهيد قال : قيل لنافع : ما كان يصنع ابن عمر - رضي الله عنهما - في منزله ؟ قال : لا يطيقونه ، الوضوء لكل صلاة ، والمصحف فيما بينهما (2) .

وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يختم القرآن في ثلاث ، وواظب على ذلك وهو طاعن في السن حتى أدركته الوفاة .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن عمر أن عمر بن الخطاب أصاب أرضاً بخيبر ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها ، فقال يا رسول الله : إني أصبت أرضاً بخيبر ، لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه ، فما تأمر به ، قال : إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها ، قال : فتصدق بها عمر : أنه لا يباع ، ولا يوهب ، ولا يورث ، وتصدق بها في الفقراء ، وفي القربى ، وفي الرقاب ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، والضيف ، لا جناح على من ولها أني يأكل منها بالمعروف ، ويطعم غير متمول ، قال - ابن عون أحد رواة الحديث - فحدثت به ابن سيرين ، فقال : غير متأثل مالاً) (3) .

---

(1) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 286/3 نقلاً عن البيهقي في : الأسماء والصفات .

(2) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 286/3 نقلا عن ابن سعد في : الطبقات الكبرى .

(3) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح كتاب الشروط : باب الشروط في الوقف 259/3–260 . وكتاب الوصايا : باب الوقف كيف يكتب ، وباب الوقف للغني والفقير ، والضيف 14/4 ، وكتاب الأيمان : باب هل يدخل في الأيمان والنذور الأرض والغنم ، والزروع ، والامتعة 178/8 - 179 ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الوصية : باب الوقف 1255/3 رقم 1632 ، وأبو دؤد في : السنن : كتاب الوصايا =

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : كان أبو طلحة - رضي الله عنه - أكثر الأنصار بالمدينة نخلا ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ، ويشرب منها من ماء فيها طيب ، قال أنس : فلما نزلت هذه الآية : (لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) ، قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : إن الله - تبارك وتعالى - يقول : (لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) ، وإن أحب أموالي إلى بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها ، وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ (1) ذالك مال رابح ، ذاك مال رابح ، وقد

سمعت ما قلت ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين ، فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه(2) .

= باب ما جاء في الرجل يوقف 298/3 رقم 2878 ، والترمذي في : السنن : كتاب الأحكام : باب في الوقف 659/3 - 660 رقم 1375 ، والنسائي في : السنن : كتاب الأحباس : باب كيف يكتب الحبس ، وذكر الاختلاف على ابن عوف في خبر ابن عمر فيه 229/6(92/4رقم 6424(1-5) السنن الكبرى) ، وابن ماجه في : السنن : كتاب الصدقات : باب من وقف 801/2 رقم 2396 رقم 2397 ، وأحمد في المسند 11/2 ، 12 كلهم من حديث ابن عمر عن عمر بن الخطاب مرفوعاً واللفظ للبخاري ، وعقب الترمذي على حديثه قائلاً : (هذا حديث حسن صحيح) .

(1) بخ : كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء ، وتكرر للمبالغة ، وهي مبنية على السكون فإن وصلت جررت ونونت ، فقلت : بخ ، بخ ، وربما شددت وبخبخت الرجل : إذا قلت له ذلك ، ومعناها تعظيم الأمر وتفخيمه . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 63/1 مادة : (بخ) .

(2) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الزكاة : باب الزكاة على الأقارب 148/2 وكتاب الوكالة : باب إذا قال الرجل لوكيله ضعه حيث أراك الله 134/3 - 135 وكتاب الوصايا : باب إذا قال داري صدقة لله ، ولم يبين للفقراء أو غيرهم فهو جائز ويضعها في الأقربين ، أو حيث أراد ، وباب من تصدق إلى وكيله ، ثم رد الوكيل إليه وباب إذا وقف أرضاً ، ولم يبين الحدود فهو جائز ، وكذلك الصدقة 8 ، 9 - 10 ، 13 ، وكتاب التفسير : سورة آل عمران : باب (لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حتى تنفقوا) =

وقال محمد بن المنكدر : لما نزلت هذه الآية : (لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) جاء زيد بن حارثة - رضي الله عنه - بفرس يقال له شبلة ، لم يكن له مال أحب إليه منها ، فقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل عليها ابنه أسامة - رضي الله عنه - فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في وجه زيد فقال : (إن الله قد قبلها منك) (1) .

وعن رجل من بني سليم قال : جاورت أبا ذر بالربذة ، وله فيها قطيع إبل له فيها راع ضعيف ، فقلت : يا أبا ذر : ألا أكون لك صاحباً أكنف راعيك ، وأقتبس منك بعض ما عندك ، لعل الله أن ينفعني به ، فقال أبو ذر : إن صاحبي من أطاعني ، فإما أنت مطيعي فأنت له صاحب ، وإلا فلا فقلت : ما الذي تسألني عنه الطاعة ، قال : لا أدعوك بشيء من مالي إلا توخيت أفضله ، قال : فلبثت معه ما شاء الله ، ثم ذكر له في الماء حاجة ، فقال ائتني ببعير من الإبل ، فتصفحت الإبل ، فإذا أفضلها فحلها ذلول ، فهممت بأخذه ، ثم ذكرت حاجتهم إليه ، فتركته ، وأخذت ناقة ليس في الإبل بعد الفحل أفضل منها ، فجئت بها ، فحانت منه نظرة ، فقال : يا أخا بني سليم خنتني ،فلما فهمتها

= مما تحبون) 46/6 ، وكتاب الأشربة : باب استعذاب الماء 142/7 ، وكتاب الأيمان والنذور : باب هل يدخل في الأيمان والنذور الأرض ، والغنم ، والزروع ، والأمتعة (معلقاً) 179/8 ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الزكاة : باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج ، والأولاد ، والوالدين ، ولو كانوا مشركين 693/2 - 694 رقم 998 (42 ، 43) ، والدارمي في : السنن : كتاب الزكاة : باب الحث على الصدقة 390/1 ، ومالك في : الموطأ : كتاب الصدقة : باب الترغيب في الصدقة ص615 رقم 2 ، وأحمد في : المسند 141/3 ، 256 ، 285 كلهم في من حديث أنس بن مالك عن أبي طلحة مرفوعاً ، واللفظ للبخاري .

(1) الحديث أورده السيوطي في : الدر المنثور في التفسير بالمأثور 260/2 من حديث عمر ، وعزاه إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

منه خليت سبيل الناقة ، ورجعت إلى الإبل ، فأخذت الفحل فجئت به ، فقال لجلسائه : من رجلان يحتسبان عملهما ؟ قال رجلان نحن ، قال : أمالاً فأنيخاء ، ثم اعقلاه ، ثم انحراه ، ثم عدوا بيوت المال فجزئوا لحمه على عددهم ، واجعلوا بيت أبي ذر بيتا منها ، ففعلوا ، لما فرق اللحم دعاني ، فقال : ما أدري أحفظت وصيتي فظهرت بها ، أم نسيت فأعذرك ؟ قال : ما نسيت وصيتك ، ولكن لما تصفحت الإبل وجدت فحلها أفضلها ، فهممت بأخذه ، فذكرت حاجتكم إليه ، فتركته ، فقال : ما تركته إلا لحاجتي إليه ؟ قلت : ما تركت إلا لذلك ، قال : أفلا أخبرك بيوم حاجتي ؟ إن يوم حاجتي يوم أوضع في حفرتي ، فذلك يوم حاجتي ، إن في المال ثلاثة شركاء : القدر لا ينتظر أن يذهب بخيرها أو شرها ، والوارث ينتظر متى تضع رأسك ، ثم يستفيئها وأنت ذميم ، وأنت الثالث ، فإن استطعت ألا تكونن أعجز الثلاثة ، فلا تكونن ، مع أن الله يقول : (لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) ، وإن هذا المال مما أحب من مالي ، فأحببت أن أقدمه لنفسي (1).

إلى غير ذلك من النماذج والأمثلة الدالة على مدى اهتمام أولئك الأصحاب بأنفسهم تطهيراً وتزكية .

وبمقدورنا نحن المسلمين أن نضع كما صنعوا ، فنهتم بأنفسنا تطهيراً وتزكية من المحافظة على الفرائض ، والمواظبة على النوافل : تريتلاً للقرآن ، وذكراً ، ودعاء ، وتوبة واستغفاراً ، وقياماً لليل والناس نيام ، ولزوماً لصلاة الضحى ، وإسراراً بالصدقة ، وصياماً ، وحجا ، وعمرة ، وزيارة للمقابر ، وتفكراً في ملكوت السموات والأرض ، وأحوال الموتى والآخرة ، ونحو هذا مما جاء في واجبات الأخ العامل من رسالة التعاليم .

---

(1) الحديث أورده السيوطي في : الدر المنثور في التفسير بالمأثور 261/2-262 عن رجل من بني سليم ، وعزاه إلى عبد بن حميد .

وإذا حدثتنا أنفسنا بالترك لطول الطريق ، وكثرة التكاليف ، أو بالتقصير والتفريط ، فنذكرها بأن هذا هو شأن الدار : أن تكون الطريق طويلة وأن تكون التكاليف

فيها شاقة ، وكثيرة ، والتقوى والصبر هما زاد الطريق ، (وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) (آل عمران : 120) ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة : 153) .

ولنذكرها كذلك : بأن العدو ماض في طريقه لا يتوقف لحظة واحدة ، ولا يمكن أن نوقفه بعدد ولا عتاد لتفوقه علينا في هذا الباب ، وإنما نوقفه بالطاعات وحسن العبودية لله رب العالمين ، ثم بالصبر والتحمل .

ولنذكرها أيضاً : بما يمكن أن يصنعه العدو بها إن تمكن منها قياساً على ما صنعه بالأمس ويصنعه اليوم بإخواننا المسلمين في كل مكان .

ولنذكرها كذلك : بالموت ، وأهوال وشدائد يوم القيامة ، ولعلها بعد هذا كله تخاف فتقبل على شأنها ، وتراقب ربها في نفسها ، فلا تنسى هذا التطهير وتلك التزكية ، وحينئذ يكون النصر والتمكين .

فإن عادت تنادى علينا بالترك ، أو بالتقصير والتفريط بحجة أنها بلغت الذروة في كمال التقى ، وحسن العبودية لله ، فلنذكرها بأنها مهما بلغت فلن تكون مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول عن نفسه : (أنا أتقاكم لله ، وأشدكم له خشية) . ومع ذلك كان مواظباً على الطاعات بالليل والنهار ، إلى أن لقى ربه ، ولما سئل في ذلك أجاب بقوله : (أفلا أكون عبداً شكوراً)(1) ولنذكرها

---

(1) الحديث جزء حديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب التهجد : باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه ، وقالت عائشة - رضي الله عنها - حتى تفطر قدماه 63/2 من حديث عائشة مرفوعاً ، وكتاب التفسير : سورة الفتح : باب قوله : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر 169/6 من حديث المغيرة وعائشة مرفوعاً ، وكتاب =

كذلك : بأنها مهما بلغت فلن تكون مثل أصحابه صلى الله عليه وسلم الذين زكاهم الله ، وزكاهم الرسول ، ومع ذلك فقد كانوا يواظبون على الطاعة ، ولا سيما في ساعات الشدة والنزال .

ولنذكرها بأن هذا الشعور هو بداية النقص والضياع ، ذلك : أن نعم الله علينا لا تنتهي والترك أو التفريط والتقصير يعني : عدم الشكر ، وهذا نذير بزوالها (وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (إبراهيم : 7) ، (وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) (الأعراف : 96) .

ولنذكرها أخيراً : بأن هذا الشعور هو نذير استمرار إمساك العدو بخناقنا ، وإحكامه القبضة حول أعناقنا ، إذ نكون قد استوينا معه في المعصية ، كما

جاء عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وزاد علينا في كثرة العدد وحسن الإعداد .

إذا قال لسعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ ومن معه من الأجناد : (أما بعد : فأني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك

= الرقاق : باب الصبر عن محارم الله 124/8 م حديث المغيرة بن شعبة مرفوعاً ، ومسلم في : الصحيح : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : باب إكثار الأعمال ، والاجتهاد في العبادة 2171/4–2172 رقم 2819 (79–81) من حديث المغيرة بن شعبة وعائشة مرفوعاً ، والنسائي في : السنن : كتاب قيام الليل وتطوع النهار : باب ذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ، واختلاف الناقلين لذلك 418/1 من حديث المغيرة بن شعبة مرفوعاً ، وابن ماجه في : السنن : كتاب إقامة الصلاة ، والسنة فيها 456/1 رقم 1419 من حديث المغيرة بن شعبة مرفوعاً ، ورقم 1420 م حديث أبي هريرة مرفوعاً ، وعقب عليه البوصيري في : مصباح الزجاجة : باب ما جاء في طول القيام في الصلاة 17/2 بقوله : (هذا إسناد صحيح احتج مسلم بجميع رواته) وأحمد في : المسند 251/4 ، 255 من حديث المغيرة بن شعبة مرفوعاً .

ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا) (1).

==========

(1) انظر : الوصايا الخالدة للشيخ عبدالبديع صقر ص43 .

الخلق الرابع

الزهد في الدنيا

ووعي الصحابة كذلك ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ من خلال معايشتهم للقرآن الكريم ، ومصاحبتهم للنبي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم لأحوال المخلوقات على ظهر هذه الأرض : أن الدنيا دار اختبار وابتلاء ، وعليه فإنها مزرعة للآخرة يزرع الناس فيها اليوم ليقطفوا غداً في الآخرة ، حيث يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (الملك : 2) ، وأنها صائرة إلى فناء وزوال ،إذ يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ {26} وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (الرحمن : 26، 27) ، (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (القصص : 88) ، وأن عمرها في جنب الآخرة قليل ، وقليل ، إذ يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: (وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ) (الرعد : 26) ، (أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ) (التوبة : 38) ، بل إن عمرها في ذاتها ونفسها قليل ، وإن ظن الناس أنه كثير ، إذ يقول المولى ـ جل شأنه ـ: (قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً) (النساء : 77) ، (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) (غافر : 39) .

وأن كل شيء يصيبه المرء في هذه الحياة الدنيا يسأل عنه ، ويحاسب عليه ، فإن كان من حلال عذب بالمنافشة ، وإن كان من حرام عوقب بالنار ، إذ يقول الله ـ عز وجل ـ: (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (التكاثر : 8) ، (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) (الأعراف : 6) ، وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تزول قدماً عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيما فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه) (1).

وأنه إذا كان هذا شأنها فإن على العاقل أن يخرجها من قلبه ، وأن يجعلها في يده يتنازل عنها في أي وقت ، وتحت أي ظرف إذا طلبت منه ، مادامت لله ، وفي سبيل

مرضاته ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم : (نعم المال الصالح في يد العبد الصالح) (2) ، (تعس عبدالدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، وتعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش) (3) .

وقلما كان صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات : (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، راجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا

---

(1) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب صفة القيامة : باب في القيامة 612/4 رقم 2417 من حديث أبي برزة الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً بهذا اللفظ ، وعقب عليه بقوله : (هذا حديث حسن صحيح) ، وأورده خلدون الأحدب في : سوانح وتأملات ص18 ، وعزاه إلى الطبراني في : المعجم الكبير 60/20 -61 والبزار في : المسند رقم 2427 من كشف الأستار ، وعقب عليه بقوله : (وهو صحيح بشواهده) .

(2) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الرضاع : باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة 1090/2 رقم 1467 من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً ، وابن ماجه في : السنن : كتاب النكاح : باب أفضل النساء 596/1 رقم 1855 بلفظ مختلف ، وأحمد في : المسند 168/2 .

(3) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الجهاد : باب الحراسة في الغزو في سبيل الله 41/4 ـ 42 ، وكتاب الرقاق : باب ما يتقى من فتنة المال 114/8 ـ 115 ، وابن ماجه في : السنن : كتاب الزهد : باب في المكثرين 1385/2 ـ 1386 رقم 1453 ـ 1436 من حديث أبي هريرة مرفوعاً بهذا اللفظ ، وبنحوه .

تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا) (1) .

وأن النبي صلى الله عليه وسلم بادر يطبق على نفسه هذا التصور الذي أعطاه لهم عن الدنيا ، إذ تقول أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ لابن إختها عروة بن الزبير : (إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ، وما يقود في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار) ، فيقول عروة : ما كان يعيشكم ؟ قالت :(الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كان لهم منائح وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيناه) (2)،وإذ تقول أيضاً : (كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدم ،

وحشوه من ليف) (3) ، (ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض) (4) .

---

(1) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب الدعوات : باب منه 528/5 رقم 502 من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعاً به . وعقب عليه بقوله : (هذا حديث حسن غريب) .
(2) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الرقاق : باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه 121/8 - 122 ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق 2283/4 رقم 972 كلاهما من حديث عائشة - رضي الله عنها - واللفظ البخاري .
(3) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الرقاق : باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه 121/8 ومسلم في : الصحيح : كتاب الزهد : والرقائق 2811/4 رقم 2970 كلاهما من حديث عائشة - رضي الله عنها - موقوفاً بهذا اللفظ .
(4) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الرقاق : باب كيف كان عيش =

بل لقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم : (اللهم ارزق آل محمد قوتاً) (1) .
وعى الصحابة ذلك وعياً تجاوز الاقتناع الذهني إلى أغوار القلب وسويدائه وإذا بهم يجاهدون أنفسهم على إخراج الدنيا من قلوبهم ، وإن ملكوا مها ما يملأ السهل والجبل ، فكان زهدهم زهداً إيجابياً مؤثراً في الحياة ، لا زهد نفر من المتأخرين انقطعوا عن الحياة الدنيا ، وتسربلوا بسرابيل الفقر والمسكنة ، ولبس خشن الثياب ، وترك النظافة والطيب .
هذا أبو بكر الصديق - وقد كان من أثرياء المهاجرين - يدعي إلى الانفاق في سبيل الله ، وتجهيز جيوش المجاهدين ، فيأتي بكل ماله ، وحين يسأله النبي صلى الله عليه وسلم (ما أبقيت لأهلك ؟) يجيب : (أبقيت لهم الله ورسوله) (2).
وهذا عثمان بن عفان يجهز جيشاً بأكمله في غزوة من الغزوات ، حتى يقول عنه النبي صلى الله عليه وسلم (ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم) (3) .
وهذا صهيب الرومي يتنازل عن كل ماله يوم الهجرة ، وقد اضطرته

= النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه 121/8 ، ومسلم في : الصحيح كتاب الزهد : والرقائق 2281/4 رقم 2970 كلاهما من حديث عائشة - رضي الله عنها - موقوفاً .
(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الرقاق : باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه 122/8 ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الزهد والرقائق 2281/4 رقم 1055 كلاهما من حديث عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً .

(2) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الزكاة : باب الرخصة في ذلك 313/2 رقم 1678 من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق ، فوافق ذلك مالاً عندي ، فقتل اليوم أسبق أبا بكر ، إن سبقته يوماً ، فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (ما أبقيت لأهلك ؟) قلت : مثله ، قال : وأتى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بكل ما عنده ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أبقيت لأهلك؟) ... الحديث .

(3) الحديث أخرجه أحمد في : المسند (الفتح الرباني للساعاتي 193/21) من حديث عبدالرحمن بن خباب السلمي ، وعبدالرحمن بن سمرة مرفوعاً به وبنحوه.

قريش إلى ذلك ، وإلا يحال بينه وبين الهجرة ، حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم : (ربح البيع صهيب ، ربح البيع صهيب)(1).

وهذا عمر ـ رضي الله عنه ـ يدخل على رجل ويستقيه وهو عطشان ، فيأتيه بعسل ، فيقول له عمر : (ما هذا ؟) ، فيقول : (عسل) ، فيقول : (والله لا يكون أحاسب به يوم القيامة) (2) .

وهذا أبو عبيدة عامر بن الجراح ، يدخل عليه عمر بيته في بلاد الشام ، فلا يرى في بيته إلا سيفه ، وترسه ، ورحله) (2) .

وهذا مصعب بن عمير الذي نشأ وفي فمه ملعقة من هذب يصيبه البلاء والشدة بعد الإسلام . فلا يتغير قلبه على الله ورسوله لحظة واحدة ، إذ يقول الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً بقباء ، ومعه نفر ، فقام مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ عليه بردة ما تكاد تواريه ، ونكس القوم ، فجاء فسلم ، فردوا عليه ، فقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم خيراً ، وأثنى عليه ، ثم قال : (لقد رأيت هذا عند أبويه بمكة يكرمانه ، وينعمانه وما فتى من فتيان قريش مثله ، ثم خرج من ذلك ابتغاء مرضاة الله ونصرة رسوله أما إنه لا يأتي عليكم إلا كذا ، وكذا ، حتى يفتح الله عليكم فارس والروم ، فيغدو . أحدكم في حلة ، ويروح في حلة ،ويغدي عليكم بقصعة ، ويراح عليكم بقصعة قالوا : يا رسول الله : نحن اليوم خيراً ، أو ذلك اليوم ؟ قال : (بل أنتم اليوم خير منكم ذلك اليوم ، أما لو تعلمون من الدنيا ما أعلم لاستراحت أنفسكم منها)(4) .

---

(1) انظر : السيرة النبوية لابن كثير 223/2 - 224 نقلاً عن ابن هشام .

(2) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد 230/3 من حديث الحسن البصري مقطوعاً به .

(3) انظر : حلية الأولياء لأبي نعيم 101/1 .

(4) الحديث أخرجه الحاكم في : المستدرك : كتاب معرفة الصحابة : باب ذكر مصعب =

وهذا عبدالرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ تقبل عليه الدنيا من كل جانب فلا تقعده ، ولا تبطره ، بل هو الذي يسخرها في طاعة الله ، ومرضاته ، فها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يجهز سريته ، فينادي في أصحابه :

(تصدقوا ، فإني أريد أن أبعث بعثاً) . ويبادر عبدالرحمن بن عوف إلى منزله ويعود مسرعاً ، ويقول يا رسول الله : عندي أربعة آلاف ، ألفان منهما أقرضهما ربي ، وألفان تركتهما لعيالي ، فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم : (بارك الله لك فيما أعطيت ، وبارك الله لك فيما أمسكت) .

وفي غزوة العسرة (تبوك) في العام التاسع من الهجرة ، كان عبدالرحمن في طليعة المتصدقين إذ تصدق بمأتي أوقية من الذهب ، حتى قال عمر بن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم : إني لا أرى عبدالرحمن إلا مرتكباً إثماً ، فما ترك لأهله شيئاً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالرحمن : هل تركت لأهلك يا عبدالرحمن ؟ فيجيبه : نعم ، تركت لهم أكثر مما أنفقت ويعاود النبي صلى الله عليه وسلم السؤال ؟ فيقول له : نعم ، فيقول له : كم ، فيقول : ما وعد الله ورسوله من الرزق ، والخير ، والأجر (1) .

والأمثلة على زهد الصحابة كثيرة تكاد تفوق الحصر .

ومغزى هذه الأسئلة : أنه حين تحرر الصحابة من سيطرة الدنيا بزخارفها ، وزينتها ، وبريقها وخضعوا ، وانقادوا ، وأسلموا أنفسهم لربهم ، ظاهرها ، وباطنها، أعزهم الله وأيدهم بروح منه ، ونصرهم على عدوهم .

= ابن عمير العبدري - رضي الله عنه - 3628 - 629 من حديث الزبير بن العوام - رضي الله عنه - مرفوعاً بهذا اللفظ .

(1) انظر : تاريخ الإسلام للذهبي : قسم المغازي ص628 بنحوه ، والمغازي للواقدي 991/3 مختصراً وصور من حياة الصحابة للدكتور / عبدالرحمن رأفت الباشا 44/4 .

ونستطيع نحن المسلمين اليوم : أن نصل إلى نفس ما وصل إليه القوم بالأمس بشرط أن نخرج حب هذه الدنيا من قلوبنا ، وأن نعبد أنفسنا لله وحده ، وإن ملكنا منها عدد ذرات الرمال ، وجبال الصحراء ، ويساعدنا في الوصول إلى هذا الهدف وإلى هذه الغاية .

1ـ اليقين التام بأننا في هذه الدنيا أشبه بالغرباء ، أو عابري سبيل ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل) (1).

2ـ وأن هذه الدنيا لا وزن لها ولا قيمة عند رب العزة إلا ما كان منها طاعة لله - تبارك وتعالى - إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)(2) ، (الدنيا ملعونة ، معلون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، أو عالماً ، أو متعلماً)(3) .

3ـ وأن عمرها قد قارب على الانتهاء ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم بعثت أنا

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الرقاق : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) 110/8 ، والترمذي في السنن : كتاب الزهد : باب ماجاء في قصر الأمل 490/4 - 491 رقم 2333 ، وابن ماجه في : السنن : كتاب الزهد : باب مثل الدنيا 1378/2 رقم 4114 وزاد هو والترمذي : (وعد نفسك من أهل القبور) . وأحمد في : المسند 41/2 ، 132 كلهم من حديث ابن عمر مرفوعاً . بهذا اللفظ ، وبألفاظ متقاربة.

(2) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب الزهد : باب ما جاء في هوان الدنيا على الله 485/4 رقم 2320 ، وابن ماجة في السنن : كتاب الزهد : باب مثل الدنيا 1377/2 رقم 4110 كلاهما من حديث سهل بن سعد مرفوعاً بهذا اللفظ ، وعقب الترمذي على حديثه بقوله : (هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه) .

(3) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب الزهد : باب منه 485/4 - 486 رقم 2322 وابن ماجه في : السنن : كتاب الزهد : باب مثل الدنيا 1377/2 كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، واللفظ للترمذي ، وعقب الترمذي على حديثه بقوله : (هذا حديث حسن غريب) .

كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى) (1) .

4ـ وأن الآخرة هي الباقية ، وهي دار القرار ، كما قال مؤمن آل عمران : (ا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ {39} مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ {40}) (غافر : 39 ، 40) .

فإذا لم تتحرر القلوب من حب الدنيا بعد اتباع هذه الخطوات المذكورة آنفاً : أنذرناها خوفناها بسوء العاقبه ، إذ يقول الحق ، تبارك وتعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ {7} أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ {8}) (يونس : 7 ، 8) .

(وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ) (الشورى : 20) .

(مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا) (الإسراء : 18) .

وقصصنا عليها عاقبة المكذبين ، وما جره حب الدنيا عليهم من بلاء ووبال ، إذ يقول سبحانه عن الطاغية الجبار فرعون مصر : (كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {25} وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {26} وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ {27} كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا

آخَـرِينَ {28} فَمَـا بَكَـتْ عَلَـيْهِمُ السَّـمَاء وَالْأَرْضُ وَمَـا كَـانُوا مُنظَـرِينَ {29}) (الـدخان : 25 - 29) . ويقـول سـبحانه عـن فرعـون وقومـه بعـد ذكـره لعـاد قـــوم هـود

---

(1) الحـديث أخرجـه مسـلم فـي : الصـحيح : كتـاب الفـتن وأشـراط السـاعة : بـاب قـرب السـاعة 2268/4 – 2269 رقـم 132 - 135 (2950–2951) مـن حـديث سـهل بـن سـعد وأنـس بـن مالـك كلاهمـا مرفوعـاً بهذا اللفظ وبنحوه .

وثمود قوم صالح : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ {6} إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ {7} الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ {8} وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ {9} وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ {10} الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ {11} فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ {12} فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ {13} إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ {14}) (الفجر : 6-14) .

فإذا لم تستجب فليكن الإكثار من عيادة المرضى ، وتشييع الجنائز ، وذكر الموت وزيارة القبور ، إذا يقول صلى الله عليه وسلم :

(كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها ، فإنها تزهد في الدنيا ، وتذكر الآخرة) (1) ، ثم الاستعانة التامة بالله - عز وجل - فقد جاء في الحديث (ومن يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله) (2) ثم لفت نظرها إلى : أن ما نحن فيه اليوم من ذل وهوان مبعثه حب الدنيا ، وكراهية الموت ، كما قال صلى الله عليه وسلم : (ولنزعن الله المهابة من قلوب عدوكم

---

(1) الحديث أخرجه ابن ماجه في : السنن : كتاب الجنائز : باب ما جاء في زيارة القبور 501/1 رقم 1571 م حديث أيوب بن هاني ، عن مسروق بن الأجدع عن ابن مسعود مرفوعاً بهذا اللفظ ، وعقب عليه البوصيري 42/2 - 43 بقوله ك (هذا إسناد حسن ، أيوب بن هانيء مختلف فيه ، وباقي رجال الإسناد على شرط مسلم) .

(الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الزكاة : باب الاستعفاف عن المسألة 151/2 - 152 ، وكتاب الرقاق : باب الصبر عن محارم الله 123/8 - 124 ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الزكاة : باب فضل التعفف والصبر 729/2 رقم 124 (1053) ، وأبو داود في : السنن كتاب الزكاة : باب في الاستعفاف 295/2 رقم 1644 ، والترمذي في : السنن : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في الصبر 328/4 رقم 4024 ، والنسائي في : السنن : كتاب الزكاة : باب الإستعفاف عن المسألة 50/2 - 51 رقم 2369 ، والدارمي في : السنن : كتاب الزكاة : باب في الاستعفاف عن المسألة 387/1 - 388 ومالك في : الموطأ : كتاب الصدقة : باب ما جاء في التعفف عن المسألة ص616 رقم 7 ، وأحمد في : المسند 3/3 ، 9 ، 12 ، 44 ، 47 ، 93 كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : واللفظ للبخاري .

ويجعل في قلوبكم الوهن) قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : (حب الدنيا وكراهية الموت)(1) وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

==========

(1) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الملاحم : باب في تداعي الأمم على الإسلام 483/4 - 484 رقم 4297 ، وفي إسناده : أبو عبدالسلام صالح بن رستم الهاشمي مولاهم الدمشقي ، قال المنذري : (سئل عنه أبو حاتم الرازي ؟ فقال : مجهول لا نعرفه ، ولكن قال الذهبي في : ميزان الاعتدال 295/2 روى عنه ثقتان ، فخفت الجهالة ، وأحمد في : المسند 278/5 كلاهما من حديث ثوبان مرفوعاً بهذا اللفظ .

الخلق الخامس

قطع حبال الجاهلية

وكان الواحد من الصحابة بمجرد أن يدخل الإسلام يجتهد كل الاجتهاد أن يقطع حبال الجاهلية ، وأن يخلع على باب هذا الدين كل ماضيه بما فيه من سوءات وظلمات ، انطلاقاً من قوله تعالى : (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {22}) (المجادلة : 22) .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {51}(المائدة : 51) .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {23}) (التوبة : 23) .

(لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ {28}) (آل عمران : 28) وانطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم :

(ألا إن آل أبي ليسوا بأولياء ، إنما ولي الله ، وصالح المؤمنين)(1) .

إذ يقول الإمام النووي ـ رحمه الله ـ تعليقاً على هذا الحديث .

(معنى الحديث : أن ولي من كان صالحاً وإن بعد مني نسبه ، وليس ولي من كان غير صالح ، وإن قرب مني نسبه)(2) .

وإذ يقول العلامة القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ كذلك تعليقاً على هذا الحديث :

(فائدة الحديث انقطاع الولاية في الدين بين المسلم والكافر ، ولو كان قريبا حميماً)(3) .

هذا أبو عبيدة عامر بن الجراح يتصدى له أبوه يوم بدر ليقتله ، فيحيد عنه فلما أكثر قصده ، فقتله ، فنزلت الآية : (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ) .... الآية (4) .

وهذا عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول يبلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بأبيه وهو في ظل أطم (3) فيقول غبر علينا ابن أبي كبشة ، فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : يا رسول الله ، والذي أكرمك لئن شئت لأتيتك برأسه فيرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً : (لا ، ولكن بر أباك

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الأدب ، باب يبل الرحم ببلالها 7/8 ، ومسلم في الصحيح : كتاب الإيمان باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم ، والبراءة منهم 197/1 رقم 366 (215) ، وأحمد في : المسند 203/4 كلهم من حديث عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً .

(2) انظر : فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني 421/10 .

(3) انظر : فتح الباري 421/10 .

(4) الحديث أورده الحافظ ابن حجر في : الإصابة في تمييز الصحابة 244/2 ترجمة رقم 4400 وعزاه إلى الطبراني قائلاً : (أخرجه الطبراني بسند جيد عن عبدالله بن شوذب .

(5) الأطم هو البناء المرتفع وجمعه آطام ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 35/1.

وأحسن صحبته)(1) .

وفي رواية أخرى أنه قال يا رسول الله : إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله ابن أبي بن سلول فيما بلغك عنه : فإن كنت فاعلاً فمر لي به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي بين الناس ، فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بل نترفق به ، ونحسن صحبته ما بقى معنا)(2).

وهذا حنظلة بن أبي عامر يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه لما آذى الرسول ، والمسلمين ، فينهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك(3).

وهذا مصعب بن عمير يقع أخوه أبو عزيز بن عمير أسيراً يوم بدر في يد محرزبن نضلة ، فيقول مصعب لمحرز : اشدد يديك به فإن له أما بمكة كثيرة المال ، فيقول له أبو عزيز : هذه وصاتك بي يا أخي ؟ فقال ك إن محرزاً أخي دونك ، فبعثت أمه عنه بأربعة آلاف (4) وهذه أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ، تقول : لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة ، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) الحديث أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد : كتاب المناقب : باب ما جاء في عبدالله بن عبدالله بن أبي 318/9 من حديث أبي هريرة ، وعزاه إلى البزار قائلاً : (رواه البزار ورجاله ثقات) .

(2) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في حياة الصحابة 312/2 ، وعزاه إلى ابن كثير في البداية نقلاً عن ابن إسحق .

(3) الحديث أورده ابن حجر في : الإصابة 360/1 وعزاه إلى ابن شاهين قائلاً : (وروى ابن شاهين بإسناد حسن إلى هشام بن عروة ، عن أبيه ... الحديث).

(4) القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 315/2 ، وعزاها إلى الزيلعي في : نصب الرواية نقلاً عن الواقدي .

وهو يريد غزو مكة ، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية ، فلم يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فدخل على ابنته أم حبيبة - رضي الله عنها - فلما ذهب

لـيجلس علـى فـراش النبـي صـلى الله عليـه وسـلم طوتـه دونـه ، فقـال : يـا بنيـة أرغبـت بهـذا الفـراش عنـي أم بـي عنـه ؟ فقالـت : بـل هـو فـراش رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم وأنت امرؤ نجس مشرك ، فقال : يا بنية لقد أصابك بعدي شر(1).

وهكـذا قطـع هـؤلاء كـل حبـال الجاهليـة لمجـرد أن هـداهم الله إلـى الإسـلام ومحضـوا ولاءهـم لله ولرسـوله ، ولجماعـة المـؤمنين ، فكافـأهم الله ـ عـز وجـل ـ بالنصـر علـى أعدائهم ، ومكن لهم في الأرض ، وأبد لهم من بعد خوفهم أمناً .

وبمقدور الحق ـ تبارك وتعالى ـ أن ينصرنا ـ نحن المسلمين ـ اليوم على أعدائنا ، وأن يمكـن لنـا فـي الأرض ، وأن يبـدلنا مـن بعـد خوفنـا أمنـا ، كمـا صـنع لهـذا الجيـل الربـاني بشـرط أن يمحـض ولاءنـا لله ، ولرسـوله ، وللمـؤمنين ، وإذا صـعب علـى نفوسـنا تحقيـق هـذا النـوع مـن الـولاء ، فعلينـا أن نسـلك مـع هـذه النفـوس السـبل التالية :

- أن نـذكر هـذه النفـوس بـأن الـولاء لله ولرسـوله وللمـؤمنين الصـالحين إنمـا هـو أمـر الله ورسـوله كمـا تـدل عليـه النصـوص التـي ذكرنـا آنفـاً ، ولـيس علـى المسـلم الصـادق أمـام حكـم الله ورسـوله إلا أن يقـول : سـمعنا وأطعنـا ، مصـداقاً لقولـه سـبحانه (إِنَّمَـا كَـانَ قَـوْلَ الْمُـؤْمِنِينَ إِذَا دُعُـوا إِلَـى اللَّهِ وَرَسُـولِهِ لِـيَحْكُمَ بَيْـنَهُمْ أَن يَقُولُـوا سَـمِعْنَا وَأَطَعْنَا) (النور : 51) .
- وأن نذكر هذه النفوس كذلك بأن الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين الصالحين عز

---

(1) الحـديث أورده الشـيخ محمـد يوسـف فـي : حيـاة الصـحابة 315/2 ، وعـزاه إلـى ابـن سـعد في : الطبقات الكبرى نقلاً عن الزهري .

ونصـر وتمكـين ، كمـا أن الـولاء لغيـره مـن الكـافرين ، والمنـافقين ، والعصـاة والمجرمين ذلك وهزيمة ، وهوان مصداقاً لقوله سبحانه :

(كَتَـبَ اللَّهُ لَأَغْلِـبَنَّ أَنَـا وَرُسُـلِي إِنَّ اللَّهَ قَـوِيٌّ عَزِيـزٌ {21}) (المجادلـة : 21) (إِنَّمَـا وَلِـيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّـذِينَ آمَنُـواْ الَّـذِينَ يُقِيمُـونَ الصَّـلاَةَ وَيُؤْتُـونَ الزَّكَـاةَ وَهُـمْ رَاكِعُـونَ {55} وَمَـن يَتَـوَلَّ اللّهَ وَرَسُـولَهُ وَالَّـذِينَ آمَنُـواْ فَـإِنَّ حِـزْبَ اللّهِ هُـمُ الْغَـالِبُونَ {56}) (المائـدة : 55 ــ 56) ، (قُـلْ إِن كَـانَ آبَـاؤُكُمْ وَأَبْنَـآؤُكُمْ وَإِخْـوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُـمْ وَعَشِـيرَتُكُمْ وَأَمْـوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَـا وَتِجَـارَةٌ تَخْشَـوْنَ كَسَـادَهَا وَمَسَـاكِنُ تَرْضَـوْنَهَا أَحَـبَّ إِلَـيْكُم مِّـنَ اللّهِ وَرَسُـولِهِ

وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ {24}) (التوبة : 24) .

- وأن تذكر هذه النفوس كذلك بأن الولاء ينبغي أن يكون لصاحب النعمة وحده وهل هناك من منعم مع الله سبحانه وتعالى ؟ اللهم لا ، وصدق الله إذ يقول : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ {34}) (إبراهيم : 34) ، (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {18}) (النحل : 18) (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ) (النحل : 53) .
- وأن تذكر هذه النفوس أيضاً بسيرة السلف ، وكيف كان صدق ولائهم لله ، ولرسوله ، وللمؤمنين على النحو الذي شرحنا آنفاً ، فإن مثل هذا التذكير يولد في النفس المستقيمة ، والفطرة السليمة ، والعقل الراشد حب الاقتداء والتآسي ، أو على الأقل التشبه والمحاكاة .
- وأن تذكر هذه النفوس كذلك بأن الكافرين يوالي بعضهم بعضاً ، وهم على الباطل كما قال الله - عز وجل -: (وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ {73}) (الأنفال : 73) وأولى بنا ونحن أهل الحق ، أن يكون بيننا ولاء على الله ، ورسوله أكبر وأعظم من ولاء هؤلاء .
- وأن تذكر هذه النفوس كذلك بأنها لو بادرت بقطع حبال أهل الكفر والفجور وإن كانوا من أقرب المقربين ، فعسى الله أن يلين قلوب هؤلاء الشاردين ، فتدخل في دين الله فتعود المودة ، ويرجع صدق الولاء وبهذا عقب المولى ـ تبارك وتعالى - على موقف أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - من أمها إذ قالت : قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : إن أمي قدمت وهي راغبة ، أفأصل أمي ؟ قلا : (نعم صلي أمك)(1) فنزل قول الحق - تبارك وتعالى -:(عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {7} لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ {8}

إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {9}) (الممتحنة : 7 - 9) .

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الهبة : باب الهدية للمشركين 924/2 ، وكتاب الجزية : باب إثم من عاهد ثم غدر 1126/3 رقم 3021 ، وكتاب الأدب : باب صلة الوالد المشرك ، وباب صلة المرأة أمها ولها زوج 2230/5 رقم 5633 ، 5634 ومسلم في : الصحيح : كتاب الزكاة : باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين 696/2 رقم 49 ، 50 (1003) ، وأبو داود في السنن : كتاب الزكاة : باب الصدقة على أهل الذمة 307/2 - 308 رقم 1668 ، وأحمد في : المسند 344/6 ، 347 ، 355 ، كلهم من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - مرفوعاً ، واللفظ للبخاري .

- وأن تذكر هذه النفوس بقصة نوح مع ولده إذ قال : (رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق ، وأنت أحكم الحاكمين) ، فرد عليه رب العز قائلاً (يا نوح ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين) . فامتثل على الفور ، وقال :

(قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ {47}) (هود : 47) ، وكذلك تذكر بقصة إبراهيم مع أبيه ، حيث وعده بالاستغفار ، فلما تبين له كفره قطعه ، وتبرأ منه وأعلن هذه البراءة ، وكذلك فعل المؤمنون معه مع أهلهم وأقاربهم الكافرين إذ يقول الحق تبارك وتعالى : (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ {114}) (التوبة : 114) ، (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ) (الممتحنة : 4) .

وإني لعلى يقين : أننا إذا سلكنا هذه السبل مع نفوسنا ، وكان هناك الصدق ، وكانت الجدية فإن الله سيجود على هذه النفوس فلا توالي ولا تعادي إلا لله ، ويومئذ يكون النصر والتمكين ، وما ذلك على الله بعزيز .

==========

الخلق السادس

الحرص على الاجتماع والوحدة

ووعي الصحابة أيضاً أنه لابد للظفر بعون الله وتأييده ونصره من الاجتماع والوحدة ، فحرضوا على هذا الاجتماع وعلى هذه الوحدة انطلاقاً من قوله تعالى : (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ...) (آل عمران : 103) ، (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (المائدة : 2) ، (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {105} يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ {106} وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (آل عمران : 105-107) .

وقوله ρ : (إياكم والفرقة ، وعليكم بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد)(1) ، (من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)(2) ، .....

---

(1) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : (10/9) بهامش عارضة الأحوذي) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعاً به ، وعقب عليه بقوله : (حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه).

(2) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن كتاب السنة : باب في قتل الخوارج 241/4 رقم 4758 من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - مرفوعاً بهذا اللفظ ، والبخاري في : =

(يد الله مع الجماعة)(1) ، (وأنا آمركم بخمس ، الله أمرني بهن : بالجماعة ، والسمع ، والطاعة ، والهجرة ، والجهاد في سبيل الله فإن من خرج من الجماعة قيد شبر ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع قالوا : يا رسول الله ، وإن صلى وصام ؟ قال : (وإن صام ، وصلى ، وزعم أنه مسلم) (2) (إن الشيطان ذئب الإنسان ، كذلك الغنم يأخذ الشاة القاصية ، والناحية ، وإياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة والعامة)(3) .

وانطلاقاً كذلك من الواقع ، إذ الواقع يشهد بأن للجماعة دوراً كبيراً في حياة المسلم فهي تعين المسلم على معرفة أبعاد ومعالم شخصيته ، وما تنطوي عليه هذه الشخصية من إيجابيات وسلبيات الأمر الذي ييسر سبيل المحافظة على الايجابيات وتنميتها ، وتلافي السلبيات والتخلص منها .

وهي تكسب المسلم كثيراً من الخبرات والتجارب ، ولاسيما في المواقف المفاجئة ، أو المباغتة ، وهي تملأ عليه حياته فلا تبقى لديه لحظة فراغ يمكن

= الصحيح : كتاب الفتن : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون أموراً تنكرونها 59/7 من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - ولكن بلفظ :(من رآى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه ، فإن من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية).

(1) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن 466/4 رقم 2166 من حديث ابن عباس مرفوعاً بهذا اللفظ ، ثم عقب عليه بقوله : (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه) ، والنسائي في : السنن : كتاب تحريم الدم : باب قتل من فارقه الجماعة 92/7 - 93 من حديث عرفجة بن شريح الأشجعي مرفوعاً به .

(2) الحديث أخرجه أحمد في : المسند 202/4 من حديث الحارث الأشعري مرفوعاً بهذا اللفظ .

(3) الحديث أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد : كتاب الخلافة : باب لزوم الجماعة 219/5 من حديث معاذ بن جبل ، وعقب عليه بقوله : (رماه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد ثقات إلا أن العلاء بن زياد قيل لم يسمع من معاذ) .

أن يستغلها شياطين الإنس والجن في إغوائه وإضلاله ، وهي تفتح أمامه الباب لتحصيل مزيد من الأجر والثواب ، وهي تكون سبباً في نزول الرحمات ، وإذهاب السأم والملل عن نفس المسلم ، بل وتجديد هذه النفس ، وهي تعين المسلم على أمره ، وتحفظ له حريته ، وحياته وكرامته إلى غير ذلك من الفوائد ، والمنافع ، وتجلي حرصهم على الاجتماع والوحدة من خلال هذه الصور:

الصورة الأولى :

ما أخرجه عبدالرزاق في المصنف من حديث قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ، وعمر ، وعثمان صدراً من خلافته ، كانوا يصلون بمكة ، ومنى ركعتين ، ثم إن عثمان صلاها أربعاً ، فبلغ ذلك ابن مسعود ، فاسترجع ، ثم قام فصلى أربعاً ، فقيل له : استرجعت ثم صليت أربعاً؟ قال : الخلاف شر) (1) .

الصورة الثانية :

ما أخرجه أحمد في : المسند عن رجل قال : كنا قد حملنا لأبي ذر ـ رضي الله عنه ـ شيئاً نريد أن نعطيه إياه فأتينا الربذة ، فسألنا عنه فلم نجده ، قيل أستأذن في الحج فأذن له ، فأتيناه بالبلدة وهي منى ، فبينا نحن عنده إذ قيل له إن عثمان صلى أربعاً ، فاشتد ذلك عليه ، وقال قولاً شديداً وقال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين ، وصليت مع أبي بكر ، وعمر ، ثم قال أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ فصلى أربعاً ، فقيل له : عبت على أمر المؤمنين شيئاً ، ثم تصنعه ؟ قال :

---

(1) الحديث أخرجه عبدالرزاق في : المصنف : كتاب الصلاة ، باب الصلاة في السفر 516/2 رقم 4269 من حديث معمر عن قتادة به ، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 3/2 . وأخرجه أبو داود في : السنن : كتاب المناسك (الحج) باب الصلاة بمنى 199/2 رقم 1960 من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبدالرحمن بن يزيد قال : صلى عثمان ...).

الخلاف أشد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا ، فقال : إنه كائن بعدي سلطان فلا تذلوه ، فمن أراد أن يذله فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ، وليس بمقبول منه توبة حتى يسد ثلمته التي ثلم ، وليس بفاعل ، ثم يعود فيكون فيمن يعزه ، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا يغلبونا على ثلاث : أن نأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر ، ونعلم الناس السنن (1).

الصورة الثالثة :

ما جاء عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : اقضوا كما كنتم تقضون فإني أكره الاختلاف حتى يكون للناس جماعة ، أو أموت كما مات أصحابي)(2).

وسأل ابن الكواء عليا ـ رضي الله عنه ـ عن السنة والبدعة ، وعن الجماعة الفرقة ، فقال : يا ابن الكواء ، حفظت المسألة ، فأفهم الجواب ، السنة ـ والله ـ سند محمد صلى الله عليه وسلم والبدعة : ما فارقها ، والجماعة ـ والله ـ :

مجامعة أهل الحق ، وإن قلوا ، والفرقة : مجامعة أهل الباطل ، وإن كثروا(3).

وهكذا كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من أحرص الناس على الاجتماع والوحدة ولهذا نصرهم الله على عدوهم رغم قلتهم عدداً ، وعدة .

---

(1) الحديث أخرجه أحمد في : المسند 165/5 عن رجل قال : كنا قد حملنا لأبي ذر شيئاً ... الحديث ، وأورده الهيثمي في : مجمع الزوائد 216/5 ، وعزاه إلى أحمد وعقب عليه بقوله :(وفيه راو لم يسم ، وبقية رجاله ثقات ، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 2/2-3.

(2) انظر : حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف 413/2.

(3) انظر : حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف 413/2 ، وابن الكواء هذا : هو عبدالله بن أبي أوفى اليشكري من فرقة الخوارج الذي كانوا مع علي ـ رضي الله عنه ـ ثم خرجوا عليه ، انظر : الكامل في التاريخ ابن الأثير 165/3 بتصرف.

ويمكن أن ينصرنا الله نحن المسلمين على عدونا اليوم ، كما نصرهم بالأمس ، إذا نحن راعينا ذلك في حياتنا ، فحرصنا على الاجتماع والوحدة ، ويساعدنا على ذلك :

- حسن الصلة بالله ـ عز وجل ـ تلك التي تتمثل في اتباع منهجه ، وإخلاص الوجهة له ـ سبحانه وتعالى ـ فإنها إن تمكنت من النفس جردتها من كل حظوظها ، وحينئذ يكون الربط على القلوب ، والتأليف بين النفوس وتكون الوحدة والاجتماع ، وقد وردت بذلك نصوص كثيرة ، منها : قوله تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (آل عمران : 31) .

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي :

(يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته)(1).

(إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل ، فقال : إني أحب فلاناً فأحبه ، قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، قال : ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذ ا أبغض عبداً دعا جبريل ،

فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه ، قال : فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الرقاق : باب التواضع 131/8 من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً بهذا اللفظ ، وأخرج أحمد في المسند 256/6 نحوه من حديث عائشة .

يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال . فيبغضونه ، ثم يوضع له البغض في الأرض)(1).

(وما تواد رجلان في الله - عز وجل - فتفرق بينهما إلا بحدث يحدثه أحدهما ، والمحدث شر ، والمحدث شر ، والمحدث شر)(2).

- ورعاية الآداب الاجتماعية من الترازور ، والسؤال عند الغياب ، وبذل النصيحة ، وطلاقة الوجه ، والهدية ، والمواساة ، وإظهار المحاسن والفضائل ، وإخفاء المعايب ، والرذائل ، والوفاء ، والعفو عن الهفوات ، والزلات ، ورك التكلف ، وإفشاء السلام ، وإجابة الدعوة ، وكل ما هو حق للأخ علي أخيه ، فإن هذه إذا روعيت أثمرت المحبة والمودة ، وحينئذ يكون الترابط ، وتكون الوحدة .

إذ جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن رجلاً زار أخاله في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال : أين تريد؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية قال : هل لك من نعمة تربها؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله تعالى ، قال : فإني رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)(3) ، (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الأدب : باب المقت من الله تعالى 17/8 ، ومسلم في : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده 2030/4 رقم 2637 كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، واللفظ لمسلم .

(2) الحديث أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد : كتاب الزهد : باب ما تواد اثنان فيفرق بينهما إلا الذنب 275/10 عن رجل من بني سليط ، ثم عقب عليه بقوله : (رواه أحمد وإسناده حسن) .

(3) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب ، باب في فضل =

إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم)(1) ،(ما من مسلمين التقيا ، أخذ أحدهما بيد صاحبه إلا كان حقاً على الله - عز وجل - أن يحضر دعاءهما ، ولا يفرق بين أيديهما حتى يغفر لهما)(2) ، (تصافحوا يذهب الغل ، وتهادوا تحابوا ، وتذهب الشحناء)(3).

- **والتدبر في ثمرات الوحدة والاجتماع ، وعواقب الفرقة في الدنيا والآخرة ، فإن هذا كفيل بدفع أصحاب العقول الراشدة ، والفطر السليمة إلى الحفاظ على الوحدة ، ونبذ الفرقة مهما تكن التضحيات ، والتكاليف .**
- **والتأمل في واقع أعداء الله ، فإن هؤلاء حريصون كل الحرص على التلاقي فيما بينهم ، والوحدة في شكل أحلاف عسكرية (حلف وارسو سابقاً ، والأطلنطي حالياً) ، أو برلمانات سياسية (البرلمان الأوربي) أو اتحادات جمهورية ، وولاياتية (جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقاً ، الولايات المتحدة الأمريكية الآن) . وهم حريصون كل الحرص على ذلك رغم أنهم على الباطل ، ورغم ما بينهم من خلافات جوهرية تمس أصول العقيدة .**

ولعل هذا التأمل يدفع عقلاء المسلمين ، وذوي الضمائر الحية منهم أن

= الحب في الله 1988/4 رقم 38 ، وأحمد في : المسند 292/2 كلاهما من حديث أبي هريرة واللفظ لمسلم .

(1) الحديث أخرجه مسلم في . الصحيح : كتاب الإيمان : باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون 74/1 رقم 93 ، 94 ، وأبو داود في : السنن : كتاب الأدب : باب في إفشاء السلام 350/4 رقم 1593 كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً واللفظ لمسلم .

(2) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الأدب : باب في المصافحة 354/4 رقم 2511 ، 2512 وأحمد في : المسند 289/4 ، كلاهما من حديث البراء بن عازب مرفوعاً ، واللفظ لأحمد .

(3) الحديث أخرجه مالك في المؤطأ ص 653 رقم 1642 من حديث عطاء بن أبي مسلم مرسلاً ، وعطاء فيه مقال .

يحرصوا على الاجتماع والوحدة ، وأن ينبذوا الفرقة ، لاسيما ونحن على الحق ، وليس بيننا من الخلافات الجوهرية مثل ما عند هؤلاء الخصوم والأعداء ، وإلى هذا يشير الحق ـ تبارك وتعالى ـ إذ يقول :

(وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) (الأنفال : 37) .

- والتذكير الدائم بضرورة الحفاظ على الاجتماع والوحدة ، ونبذ الفرقة ، حتى نظل أعزة الجانب ، مسموعي الكلمة ، محروسين بعين الله ورعايته ، إذ الإنسان بطبيعته ينسى ، ولا علاج لهذا النسيان إلا بالتذكير الدائم ، وصدق الله الذي يقول :

(فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى) (الأعلى : 9) ، (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات : 55).

- والتجوال الدائم في سيرة السلف ، ولا سيما الصحابة الذين نسوق الآن طرفاً من أخلاقهم التي كانت سبباً في نصرتهم على أعدائهم ، وكيف كان حرص هؤلاء على الاجتماع والوحدة ، وبغضهم وكراهيتهم للفرقة ، رغم ما كان يقع بينهم من اختلاف في الرأي ، وتعارض في وجهات النظر ، إذ كانوا يؤمنون : (أن الخلاف لا يفسد للود قضية) .
- ثم الاستعانة التامة بالله ـ عز وجل ـ ودوام الدعاء ، والضراعة أن يربط على القلوب ، وأن يزيل ما بالصدور ، وأن يجمعنا دائماً على الحق وقد وعد ـ سبحانه ـ بإجابة الدعاء لمن استوفى شرطه ، وكان أهلاً له ، فقال : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة : 186) .

الخلق السابع

المبادرة بالنزول على حكم الله ورسوله

وإن خالف هوى النفس

ووعي الصحابة إلى جوار ما تقدم من أخلاق أن من أسباب إمداد الله لهم بالنصر المبادرة بالنزول على حكم الله ورسوله ، وإن خالف هوى النفس انطلاقاً من قوله سبحانه : (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {51} وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ {52}) (النور : 51 - 52) ، (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا {65}) (النساء : 65) ، (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور : 63) ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ) (الأنفال : 20) ، (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (التغابن : 12) . وعي الصحابة ذلك ، فعملوا على التحلي به في كل ما يأتون وما يدعون : هذه زينب بنت جحش - رضي الله عنها - ينطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبها على فتاه زيد بن حارثة . وحين يفاتحها في ذلك تأبى وتقول : لست بناكحته ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بلى فانكحيه) . قالت : يا رسول الله أؤامر نفسي ، فبينما هما يتحدثان إذ بالمولى - سبحانه وتعالى - ينزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) ،فتقول:

قد رضيته لي يا رسول الله منكحاً ؟ فيقول صلى الله عليه وسلم : (نعم) ، فتقول إذن لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انكحته)(1) وهذا جليبيب يخطب عليه رسوله صلى الله عليه وسلم امرأة من الأنصار إلى أبيها ، ويقول أبوها : حتى استأمر أمها ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : (فنعم إذا) ، وينطلق الرجل إلى امرأته ، ويذكر ذلك لها ، فتقول : لاها ، الله ، إذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبياً ، وقد منعناها من فلان وفلان ، فيقول راوي الحديث - والجارية تسمع في سرها ، وينطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فتقول الجارية : أتريدون أن تردوا على رسول الله أمره ، إن كان قد رضيه لكم فانكحوه ، فكأنها جلت عن أبويها وقالا : صدقت ، فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن كنت قد رضيته ، فقد رضيناه ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم (فإني قد رضيته ، ويزوجها أبوها ، ثم يفزع أهل المدينة ، ويركب جليبيب ، فيجدونه قد قتل ، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم ، يقول أنس بن مالك - راوي الحديث - فلقد رأيتها ، وإنها لمن أنفق بيت في المدينة)(1) ، وهؤلاء نفر من الصحابة كانوا يشربون الخمر ، ولا يطيقون صبراً عنها ، بيد أنه لما نزل القرآن : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {90} إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ {91}) (المائدة : 90 - 91) لما نزل القرآن بذلك تركوها ، وأقلعوا عنها قائلين

---

(1) الحديث أورده ابن كثير في : تفسير القرآن العظيم 489/3 قائلاً : (وقال العوفي عن ابن عباس) والسيوطي في : الدر المنثور 200/5 - 201 من حديث ابن عباس ، وعزاه إلى ابن جرير ، وابن مردويه وآخرين .

(2) الحديث أخرجه أحمد في : المسند 136/3 من حديث أنس بن مالك مرفوعاً بهذا اللفظ

(قد انتهينا يا رب)(1).

وهذا مرثد بن أبي مرثد ، وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة ، وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها عناق ، وكانت صديقة له ، وإن كان واعد رجلاً من أساري مكة يحمله ، قال : فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة ، قال : فجاءت عناق فابصرت سواد ظلي بجنب الحائط . فلما انتهت إلى عرفته ، فقالت : مرثد ؟ فقلت : مرثد ، فقالت : مرحباً وأهلاً هلم

، فبت عندنا الليلة قال : قلت يا عناق حرم الله الزنا ، قالت : يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم قال : فتبعني ثمانية ، وسلكت الخندمة ـ يعني الجبل ـ فانتهيت إلى كهف أوغار ، فدخلت ، فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا ، فظل بولهم على رأسي ، وأعماهم الله عني ، قال : ثم رجعوا ، ورجعت إلى صاحبي فحملته ، وكان رجلاً ثقيلاً حتى انتهيت إلى الاذخر ـ مكان خارج مكة ـ ففككت عنه كبلة ـ وهو قيد ضخم ـ فجعلت أحمله ، ويعينني حتى قدمت المدينة ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله أنكح عناقاً ؟ فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد على شيئاً حتى نزلت : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ {2}) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الزاني لا ينكح إلا زانية ، أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك فلا تنكحها)(2).

---

(1) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب التفسير : باب ومن سورة المائدة 253/5 ـ 254 من حديث عمر بن الخطاب وقال : (حديث حسن صحيح) وأحمد في : المسند 346/4 من حديث حنظلة واللفظ للترمذي .

(2) الحديث أخرجه ابن ماجه في : السنن : كتاب الحدود : باب السارق يعترف 863/2 رقم 2588 من حديث عبدالرحمن بن ثعلبة الأنصاري ، عن أبيه مرفوعاً بهذا اللفظ .

وهذا عقبة بن الحارث يتزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فتأتيه إمرأة فتقول : إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج ، فيقول لها عقبة : ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني ، ثم يركب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فيسأله فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كيف وقد قيل ، فيفارقها عقبة وتنكح زوجاً غيره)(1).

ولما سقط مسطح بن أثاثة مع من سقط في حادثة الإفك واتهام أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بالزنا من صفوان بن المعطل - شق ذلك على أبي بكر وأهله ، وقال : هذا أمر لم نتهم به في الجاهلية أفبعد إذ أعزنا الله بالإسلام نتهم به ؟ وحلف ألا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً فأنزل الله - عز وجل - : (وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {22})(النور : 22) ، وسمعها أبو بكر فقال : بلى والله يا ربنا ، إنا لنحب أن يغفر لنا ، وعاد له بما كان يصنع (2) إلى غير ذلك من النماذج ، التي تدل دلالة واضحة على صدق القوم في تجردهم من كل شيء حتى من حظوظ أنفسهم ، وقبول أمر الله ورسوله بالسمع والطاعة ، والرضى والقبول ظاهراً وباطناً الأمر الذي كان سبباً في عون الله ، ونصره ، وتأييده لهم .

ونستطيع نحن المسلمين اليوم ، وفي كل يوم أن نظفر بما ظفر به هؤلاء بشرط أن يكون حكم الله ورسوله أحب إلى نفوسنا من كل شيء حتى من حظوظ نفوسنا ويعيننا على ذلك :

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب العلم : باب الرحلة في المسألة النازلة 45/1 - 46 رقم 88 ، وكتاب الشهادات : باب إذا شهد شاهد 934/2 رقم 2479 من حديث عقبة بن الحارث مرفوعاً بهذا اللفظ .

(2) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب التفسير : سورة النور : باب قوله إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا .. 1780/4 - 1782 رقم 4479 من حديث عائشة به .

1ـ أن نضع في حسابنا أن الله الذي تعبدنا بحكمه أعلم بكل شيء حتى بخلجات وخطرات نفوسنا ، وعليه فإذا تعبدنا بشيء فلن يكون فيه إلى الخير كل الخير ، وصدق الله العظيم إذ يقول : (وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ)(البقرة : 220) ،(وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)(المائدة : 50) ، (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ

مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا {66} وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيمًا {67} وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا {68})(النساء : 66 - 68) .

2ـ وأن نديم النظر في سير الأنبياء والمرسلين ، وكيف كان حكم الله أحب إلى نفوسهم من كل شيء حتى من أنفسهم ، فهذا نوح ينزل على حكم الله في شأن ولده حين يقول له ربه : (يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)(هود : 46) ، فيطيع على الفور قائلاً : (رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ)(هود : 47) ، فتكون المثوبة من الله السلم والسلام ، والأمن والأمان ،(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)(هود : 48) .

وهذا إبراهيم يرى في النوم أنه يذبح ولده ، فيصبح ماضياً في التنفيذ قائلاً لولده : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى)(الصافات : 102) فيجيبه ولده من نفس المنطلق قائلاً : (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)(الصافات : 102) وهنا يكون الفداء ، وتكون النجاة : (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ {103} وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ {104} قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {105} إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ {106} وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ {107} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ {108} سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ {109} كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {110} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {111} وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ {112} وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ {113})(الصافات : 103 - 113).

وفي دوام هذا النظر العظة والعبرة إن شاء الله (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {111})(يوسف : 111) .

3ـ وأن نعيد النظر كذلك في سير الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، فإنها مليئة بالنماذج الحية التي كان حكم الله ورسوله أحب إليها من كل شيء ، حتى من نفسها التي بين جنبيها على النحو الذي ذكرنا آنفاً .

4ـ وأن نتهم نفوسنا دائماً ، ونخالفها ، ونخالف شياطين الإنس والجن في كل ما يشيرون ، وما يأمرون ، فإنهم كما قال الله ـ عز وجل ـ: (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى

بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)(الأنعام : 112) (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)(الأنعام : 121) .

5ـ وأيضاً نستعين بالله : عز وجل - على هذه النفوس ، وعلى الأعراف والعادات والتقاليد ، وهو سبحانه حين يعلم منا الصدق ، والإخلاص لا يبخل علينا بالعون والتأييد ، والنصر ، والتمكن ، وما ذلك على الله بعزيز .

6ـ والنظر في خبر الغابرين الذين ركبوا رؤوسهم ، وأعرضوا عن حكم الله ورسوله ، وضربوا بهذا الحكم عرض الحائط ، وكيف كانت عاقبتهم ، وكيف كان مصيرهم ، وصدق الله الذي يقول : (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)(العنكبوت : 40) .

7ـ والانخلاع ، والانسلاخ من صحبة المتمردين على حكم الله ورسوله المؤلهين لاهوائهم ، وعقولهم ، ثم الارتماء في أحضان الصالحين من عباد الله المعروفين بحسن استجابتهم لله ولرسوله ، فإن الصحبة الطيبة الكريمة ذات أثر فعال في ذلك .

8ـ ثم التذكير الدائم للنفس بهذا المعنى حتى لا تغفل ولا تنسى ، (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)(الذاريات : 55) ، (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى)(الأعلى : 9) .

==========

الخلق الثامن

اتهام النفس والشعور دوماً بالتقصير

وعرف عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ، ورضوا عنه ـ أنهم كانوا مع استقامتهم ، ووقوفهم عند حدود الله يتهمون أنفسهم ، ويشعرون دوماً بالتقصير انطلاقاً من قول سبحانه : (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ {53})(يوسف : 53) .

ومن قوله صلى الله عليه وسلم :

(سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ، ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ... الحديث (1) ، (لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة) ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة ... الحديث)(2).

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الدعوات : باب أفضل الاستغفار ، وباب ما يقول إذا أصبح 83/8 ، 88 من حديث شداد بن أوس مرفوعاً به .

(2) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى 2169/4 - 2171 رقم 71 - 78 من حديث أبي هريرة ، وجابر بن عبدالله ، وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ مرفوعاً به وبنحوه .

وقوله ـ : ردا على أم العلاء الأنصارية ، وقد زكت عثمان بن مظعون لما مات ، فقالت : رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله ـ: (وما يدريك أن الله أكرمه) ، فقالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أما عثمان فقد جاءه والله اليقين ، وإني لأرجو له الخير ، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به)(1) .

هذا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يدخل عليه عمر يوماً ، وهو يجبذ لسانه (2) ، فيقول له : مه ، غفر الله لك ، فيرد عليه أبو بكر قائلاً : (إن هذا أوردني شر الموارد)(3) ، وهذا عمران بن حصين يدخل عليه بعض أصحابه ، وكان قد ابتلى في جسده ، فيقول له نفر منهم : إنا لنبأس لك لما نرى فيك ، قال : فلا تبتئس بما ترى ، فإن ما ترى بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر ، ثم تلا هذه الآيَ : (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)(4).

وهذا عمر بن الخطاب ، وكانت رأسه في حجر ولده عبدالله بن عمر في مرض

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الشهادات : باب القرعة في المشكلات 238/3 ، والنسائي في : السنن الكبرى (تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ المزي 94/13) كلاهما من حديث أم العلاء الأنصارية مرفوعاً به .

(2) قوله : (وهو يجبذ لسانه) يعني : يجذبه ، إذ الجبذ لغة في الجذب ، انظر النهاية لابن الأثير 141/1 .

(3) الحديث أخرجه مالك في : الموطأ : باب ما جاء فيما يخاف من اللسان ص699 رقم 1810 من حديث زيد بن أسلم عن أبيه به ، وأورده المنذري في : الترغيب والترهيب 534/3 وعزاه إلى مالك ، والبيهقي .

(4) الحديث أورده الحافظ ابن كثير في : تفسير القرآن العظيم 116/4 - 117 وعزاه إلى ابن أبي حاتم في تفسيره .

الموت ، يقول لابنه : (ضعه لا أم لك ، ويلي ، ويل أم عمر إن لم يغفر لي ربي)(1).

وهذا أبو الدرداء يصيبه المرض ، ويدخل عليه أصحابه ليعودوه ، ويقولون له : أي شيء تشتي ؟ فيقول : ذنوبي ، فيقولون أي شيء تشتهي ؟ فيقول : الجنة)(2).

وهذه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، كانت تصدع ، فتضع يدها على رأسها ، وتقول : بذنبي ، وما يغفره الله أكثر)(3).

وهذا ابن عمر كان يصلي على الجنازة ثم ينصرف ، ولما بلغه حديث أبي هريرة : أنه صلى الله عليه وسلم قال :

(من شهد جنازة حتى يصلي عليها فله قيراط ، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان) ، قيل : وما القيراطان ؟ قال : (مثل الجبلين العظيمين) : بعث إلى

أم المؤمنين عائشة يسألها ، فصدقت أبا هريرة ، عند ذلك قال : (لقد فرطنا في قراريط كثيرة)(4) .

---

(1) الحديث أورده ابن أبي شيبة في : المصنف : كتاب الزهد : باب كلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - 276/13 رقم 16328 من حديث ابن عمر موقوفاً عليه بهذا اللفظ .

(2) الحديث أورده ابن أبي شيبة في : المصنف : كتاب الزهد : باب كلام أبي الدرداء - رضي الله عنه - 309/13 رقم 16441 من حديث معاوية بن قرة ، عن أبي الدرداء موقوفاً بهذا اللفظ .

(3) الحديث الحديث أورده السيوطي : في الدر المنثور في التفسير بالمأثور 10/5 وعزاه إلى ابن سعد في : الطبقات الكبرى ، عن ابن أبي مليكة ، عن أسماء موقوفاً به .

(4) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الجنائز : باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها 652/2 - 654 رقم 945 ، 946 ، وأحمد في : المسند 470/2 ، 498 كلهم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً به .

وهذا حنظلة الأسيدي - وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول : لقيني أبو بكر ، فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ، ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد ، والضيعات ، فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقي مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وما ذاك؟) ، قلت يا رسول الله : نكون عندك ، تذكرنا بالنار ، والجنة ، حتى كأنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج ، والأولاد ، والضيعات نسينا كثيراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة ، وساعة ثلاث مرات(1) إلى غير ذلك من النماذج .

وهكذا كان اتهام النفس ، والشعور بالتقصير دوماً مظهراً من مظاهر صدق هؤلاء مع ربهم ، الأمر الذي حدا بهم إلى مضاعفة الجهد ، وأخذ النفس بالحزم ، والعزم ، ومن يضاعف من جهده ، ويأخذ نفسه بالحزم ، والعزم سيكون بعين الله ورعايته ، يمده بالنصر ، والتمكين ، وهو ما ظفر به هؤلاء .

وبمقدورنا نحن المسلمين أن نحظى اليوم بما حظى به هؤلاء بالأمس من العزة ،

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب التوبة : باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة ، والمراقبة ، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا 2106/4 - 2107 ، وأحمد في : المسند 346/4 كلاهما م حديث أبي عثمان النهدي ، عن حنظلة مرفوعاً ، واللفظ لمسلم .

والنصر ، والتمكين ، بشرط أن نتوجه إلى أنفسنا دوماً بالاتهام ،وأن نشعر هذه النفوس بأنها مهما عملت ، ومهما شكرت فإنها في جنب نعمة الله ، وفضله ، ورحمته ، مقصرة ، ويعينا على ذلك .

- أن نستحضر نعمة الله التي تغمرنا في أنفسنا وفي الكون المحيط بنا (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)(لقمان : 20) ، (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ)(النحل : 53) ، وأننا مهما تفانينا في الطاعة وسائر أعمال البر ، فلن نستطيع الوفاء بشكر أدنى نعمة من هذه النعم وإلى هذا لفت النبي صلى الله عليه وسلم النظر بقوله : (خرج جبريل من عندي آنفاً ، فقال : يا محمد ، والذي بعثك بالحق إن لله عبداً من عباده ، عبدالله خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر ، عرضه ، وطوله ثلاثون ذراعاً ،من ثلاثين ذراعاً ، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية ، وأخرج له عيناً بعرض الأصبع ، تفيض بماء عذب ، فيستنقع في أسفل الجبل ، وشجرة رمان تخرج له في كل ليلة رمانة يتعبد يومه فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء ، وأخذ تلك الرمانة فأكلها ، ثم قام لصلاته ، فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً ، وألا يجل للأرض ، ولا لشيء يفسده عليه سبيلاً ، حتى يبعثه الله ، وهو ساجد ، قال : ففعل ، فنحن نمر عليه إذا هبطنا ، وإذا عرجنا ، فنجد له في العلم أنه يبعث يوم القيامة ، فيوقف بين يدي الله ، فيقول له الرب : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي ، فيقول : رب بل بعملي ، فيقول : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي ، فيقول : بل بعملي ، فيقول الله : قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله ، فتوجد نعمة البصر ، قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة ، وبقيت نعمة الجسد فضلاً عليه ، فيقول : ادخلوا عبدي النار ، فيجر إلى النار ، فينادي : رب برحمتك ادخلني الجنة ، فيقول : ردوه ، فيوقف بين يديه فيقول : يا عبدي من خلقك ولم تك شيئاً ؟ فيقول : أنت يا رب ،فيقول : من قواك لعبادة خمسمائة سنة ؟ فيقول أنت يا رب فيقول : من أنزلك في جبل وسط اللجة ، وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح ، وأخرج لك كل ليلة رمانة ، وإنما تخرج مرة في السنة ، وسألته أن يقبضك ساجداً ، ففعل ؟ فيقول

: أنت يا رب ، قال : فذلك يرحمني ، وبرحمتي أدخلك الجنة ادخلوا عبدي الجنة ، فنعم العبد كنت يا عبدي ، فأدخله الله الجنة قال جبريل : إنما الأشياء برحمة الله يا محمد)(1)، (يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين : ديوان فيه العمل الصالح ، وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله عليه ، فيقول الله عز وجل - لأصغر نعمه ، أحسبه قال : من ديوان النعم : خذي ثمنك من عمله الصالح ، فتستوعب عمله الصالح ، ثم تنحى ، وتقول : وعزتك ما استوفيت ، وتبقى الذنوب ، والنعم ، وقد ذهب العمل الصالح ، فإذا أراد الله أن يرحم عبداً ، قال : يا عبدي ، قد ضاعفت لك حسناتك ، وتجاوزت عن سيئاتك ، ووهبت لك نعمتي)(2).

- وأن ننعم النظر دائماً في سير النبيين والمرسلين من خلال القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وكيف كان اتهامهم لأنفسهم ، وخوفهم ، وإشفاقهم لمجرد إتيانهم ما هو خلاف الأولى ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، هذا آدم وحواء حين يهبطان من الجنة إلى الأرض ، لمجرد أن خالفا أمر الله وأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها ، يقران بما وقع منهما ويطلبان المغفرة ، وإلا كان البوار والخسران المبين ، قال تعالى حاكياً ، عنهما : (قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(الأعراف : 23) .

---

(1) الحديث أورده الحافظ المنذري في : الترغيب والترهيب 399/4 - 401 وعزاه إلى الحاكم في : المستدرك من حديث جابر بن عبدالله مرفوعاً به . وقال : (قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(2) الحديث أورده المنذري في الترغيب والترهيب 397/4 - 398 وعزاه إلى البزار .

وهذا نوح عليه السلام حين ينهاه ربه أن يسأله شيئاً في حق ولده الكافر ، يخاف ويتهم نفسه ، ويسأل ربه العفو والمغفرة ، فيقول كما حكى القرآن الكريم : (رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ)(هود : 47) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة ، وقال : (أنا سيد القوم يوم القيامة ، هل تدرون بم ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس فيقول بعض الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ، إلى ما بلغكم ، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ،

فيقول بعض الناس : أبوكم آدم ، فيأتونه فيقولون : يا آدم : أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، وما بلغنا ؟ فيقول : ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، ونهاني عن الشجرة ، فعصيته . نفسي ، نفسي ، إذهبوا إلى غيري ، إذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً ، فيقولون يا نوح : أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً ، أما ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى على ما بلغنا ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول : ربي غضب اليوم غضباً ، لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، نفسي ، نفسي ، ائتوا النبي صلى الله عليه وسلم فيأتوني ، فأسجد تحت العرش ، فيقال : يا محمد أرفع رأسك ، واشفع تشفع ، وسل تعطه ... الحديث)(1) .

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الأنبياء : باب الأرواح جنود مجندة 1215/3 - 1216 رقم 3162 من حديث أبي هريرة مرفوعاً بهذا اللفظ .

- وأن نكثر التجوال في سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف كان شعورهم بالتقصير ، واتهامهم لأنفسهم ، مع أنهم خير القرون بشهادة الله ورسوله ، على النحو الذي قدمنا آنفاً ، فإن مثل هذا التجوال له دور كبير في شحذ الهمة ، وتقوية العزيمة انطلاقاً من إتهام النفس ، والانحاء عليها دوماً باللوم والتأنيب والتوبيخ .
- وأخيراً اليقين بأن مثل هذا الاتهام ، والشعور بالتقصير والتفريط في جنب الله ، هو بداية السعي نحو الكمال ، وحينئذ نصير أهلاً للتمكين ، والعون ، والنصر الرباني .

==========

الخلق التاسع
العناية بالفروسية

وكان من الأخلاق التي تحلى بها الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وكانت سبباً في جلب النصر ، والعون ، والتأييد الإلهي لهم : العناية بالفروسية ممثلة في السبق على الخيل ، والإبل ، والرمي ، والمصارعة ، والسباحة ، والركض ونحوها انطلاقاً من قوله ـ سبحانه ـ:

(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ) (الأنفال : 60) ، ومن قوله صلى الله عليه وسلم 0المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ...) الحديث (1) ، (ارمو بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً ، ارموا وأنا مع بني فلان)(2) ، (لا سبق إلا في خف ، أو حافر أو نصل)(3) (من تعلم الرمي ، تم تركه فليس

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب القدر : باب في الأمر بالقوة 2025/4 رقم 2664 وابن ماجه في : السنن : المقدمة : باب في القدر 31/1 رقم 79 كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً .

(2) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الجهاد : باب التحريض على الرمي 45/4 - 46 رقم 2899 وأحمد في : السند 50/4 كلاهما من حديث سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً .

(3) الحديث أخرجه أحمد في : المسند 256/2 ، 425 ، والنسائي في السنن =

منا)(1) ، (إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب في عمله الخير ، والرامي به ، والممد به)، وفي رواية (ومنبله ، فارموا ن واركبوا ، وإن ترموا أحب إلى من أن تركبوا ، كل لهو باطل ، ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ، ونبله فإنهن من الحق ، ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة منه فإنها نعمة تركها أو قال كفرها)(2) ، (عليكم بالجهاد ، فإنه باب من أبواب الله ، يدفع الله به عن النفوس الهم ، والغم)(3) ، (من مشى بين الغرضين كان له بكل خطوة حسنة)(4).

واقتداء وتأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ تقول عائشة - رضي الله عنها - (سابقني النبي صلى الله عليه وسلم فسبقته ، فلبثنا ، حتى إذا ارهقني اللحم سابقني ، فسبقني ، فقال : هذه بتلك)(5) ، وفي رواية أخرى : أنهم كانوا في سفر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم

= كتاب الخيل : باب السبق 226/6 - 227 ، وأبو داود في : السنن : كتاب الجهاد : باب السبق رقم 2574 ، والترمذي في : السنن : كتاب الجهاد : باب ما جاء في الرهان والسبق 178/4 رقم 1700 كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، وعقب الترمذي على حديثه بقوله : (هذا حديث حسن).

(1) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب فضل الرمي رقم 1919 وأبو داود في : السنن : كتاب الجهاد : باب الرمي 2513 كلاهما من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً .

(2) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الجهاد : باب الرمي 2513 كلاهما من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً .

(3) الحديث أخرجه أحمد في : المسند 114/5 وقال عنه الهيثمي في : المجمع 272/5 : (رواته ثقات) .

(4) الحديث أورده ابن حجر في : تلخيص الحبير 182/4 ، وعزاه إلى الطبراني من حديث أبي ذر مرفوعاً .

(5)الحديث أخرجه أحمد في : المسند 39/6 ، 264 ، وأبو داود في : السنن رقم 2578 من حديث عائشة مرفوعاً.

لأصحابه : (تقدموا) فتقدموا ، ثم قال لعائشة : (سابقيني) ، فسابقها ، فسبقته ، ثم سافرت معه مرة أخرى ، فقال لأصحابه : (تقدموا) ، ثم قال : (سابقيني ، فسابقته فسبقني ، فقال : هذه بتلك)(1) ، وصارع النبي صلى الله عليه وسلم ركانة ، فصرعه صلى الله عليه وسلم ، وكان ركانة من أشد الناس لا يصرع ، (وسابق صلى الله عليه وسلم بين الخيل ... الحديث)(2).

وكانت الغضباء لا تسبق ، فجاء أعرابي على قعود له فسابقها ، فسبقها الأعرابي ، وكان ذلك شق على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (حق على الله ألا يرفع شيء من الدنيا إلا وضعه)(3) .

ويقينا منهم أن هذه الفروسية هي طريق تطبيق وحماية الواجب الذي كلفوا به ، وهو العبودية لله الممثلة في عمارة الأرض ، والتقوى ، وقديماً قيل : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

هذا سلمة بن الأكوع يقول : بينما نحن نسير ، وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدا ، فجعل يقول : ألا مسابق إلى المدينة ؟ هل من مسابق ؟ فجل يعيد ذلك ، فقلت : أما تكرم كريماً ، ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا ، إلا أن يكون رسول

---

(1) الحديث أخرجه الإمام أحمد في : المسند 39/6 ، 264 وأبو داود في : السنن : كتاب الجهاد : باب في السبق على الرجل رقم 2578 كلاهما من حديث عائشة مرفوعاً . وأورده الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير 179/4 وعزاه إلى الشافعي والنسائي وابن حبان والبيهقي .

(2) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب اللباس : باب العمائم رقم 4078 ، والبيهقي في : السنن الكبرى 18/10 ، وابن كثير في : البداية والنهاية 102/3 بإسناد جيد عن ابن عباس .

(3) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الجهاد والسير : باب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم رقم 2872 من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ معلقاً ، وكتاب الرقاق : باب التواضع رقم 6501 ، وأبو داود في : السنن : كتاب الأدب : باب كراهية الضعة في الأمور رقم 2802 ، 2803 كلاهما من حديث أنس مرفوعاً بهذا اللفظ وبنحوه .

صلى الله عليه وسلم ، قال : قلت يا رسول الله بأبي وأمي ذرني فلأسابق الرجل ، قال : (إن شئت) فسبقته إلى المدينة) (1) .

وهذا سعد بن أبي وقاص ، كان يقول لبنيه : أي بني تعلموا الرماية ، فإنها خير لعبكم)(2) ، وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن علم علمانك العوم ، ومقاتلتكم الرمي ، فكانوا يختلفون في الأغراض ، فجاء سهم غرب ، فقتل غلاماً ، وهو في حجر خال له ، لا يعلم له أصل ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر : إلى من أدفع عقله ؟ فكتب إليه عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : (إن الله ورسوله مولى من لا مولى له ، والخال وارث من لا وارث له)(3).

وقال إبراهيم التيمي عن أبيه : رأيت حذيفة يعدو بين الهدفين بالمدائن في قميص)(4).

وقال الأوزاعي عن بلال بن سعد : أدركت قوماً يشتدون بين الأعراض يضحك

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الجهاد والسير : باب غزوة ذي قرد وغيرها 1433/3 - 1441 ، وأحمد في : المسند 52/4 - 54 كلاهما من حديث سلمة بن الأكوع مرفوعاً .
في قصة طويلة ستأتي الإشارة إليها بعد قليل بإذن الله .

(2) الحديث أورده الحافظ ابن القيم في : كتاب الفروسية : باب ما جاء في النضال ص41 من حديث مصعب بن سعد عن أبيه بهذا اللفظ ، وعقب عليه بقوله (ذكره الطبراني في كتاب فضل الرمي).

(3) الحديث أخرجه أحمد في : المسند 46/1 وصححه الشيخ أحمد شاكر رقم 323 ، والبيهقي في : السنن الكبرى 14/10 من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمر موقوفاً .

(4) الحديث أخرجه سعيد بن منصور في : السنن : كتاب الجهاد : باب ما جاء في الرمي وفضله 173/2 رقم 2457 ، 2458 من حديث إبراهيم التيمي بهذا اللفظ .

بعضهم إلى بعض ، فإذا كان الليل كانوا رهباناً)(1) ، وقال مجاهد : رأيت ابن عمر يشتد بين الهدفين ، ويقول : أنا بها)(2) ، وكان عقبة بن عامر يختلف بين الغرضين ، وهو شيخ كبير ، فقيل له : تفعل هذا وأنت شيخ كبير يشق عليك ؟ فقال : لو لا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه ، سمعته يقول : (من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا) ، وفي رواية : (فقد عصى)(3) . هذا وغيره كثير ، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على مدى

عناية الصحابة بالفروسية واعتبارها جزءاً من العبادة ، الأمر ، الذي كان سبباً في نصرهم والتمكين لهم في الأرض .

وإذا كنا - نحن المسلمين - نسعى اليوم من أجل التخلص من حياة الذل والهوان التي نحياها الآن ، فإن علينا أن نهتم بقضية الفروسية ونجعلها ضمن القضايا التي تشغلنا ، وتقلق بالنا ، كي يمدنا الله بمدد وعون ، وتأييد منه ، ويعيننا على ذلك .

- **دوام النظر في كتاب الله - عز وجل - وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته ، فإن فيهما دعوة صريحة وواضحة وملزمة بضرورة تعلم الفروسية والعناية**

---

(1) الحديث أخرجه أبو نعيم في : حلية الأولياء 224/5 من حديث بلال بن سعد بهذا اللفظ وأورده الحافظ ابن القيم في : الفروسية ص48.

(2) الحديث أخرجه سعيد بن منصور في : السنن : كتاب الجهاد : باب ما جاء في المرمي وفضله 173/2 رقم 2459 ، 2460 ، وابن أبي شيبة في : المصنف 502/5 ، وأورده الحافظ ابن حجر في : تلخيص الحبير 183/4 وحسن إسناده وكذلك أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد : كتاب الجهاد : باب ما جاء في القسي والرماح والسيوف 269/5 وعزاه إلى الطبراني قائلاً : (رواه الطبراني ورجاله ثقات).

(3) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب فضل الرمي 1522/3 - 1523 رقم 1919 ، وأبو داود في : السنن : كتاب الجهاد : باب الرمي 28/3 - 29 كلاهما من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً ، واللفظ لمسلم .

بها من حيث إنها طريق للتمكين لمنهج الله في الأرض ، وحمايته من كيد الكائدين ، وعبث العابثين ، وقد قدمنا شيئاً من ذلك في مقدمة هذا الخلق .

- دوام النظر كذلك في سيرة الصحابة - رضي الله عنهم ورضوا عنه - ومدى اهتمامهم ، وعنايتهم بالفروسية ، والنظر إلى فعلها على أنه طاعة من الطاعات ينالون به أجراً ، ومغفرة من ربهم ورضواناً ، كما أن التقصير فيه إثم يوجب العقاب ، والذل والهوان المتمثل في الدنيا بعدوان الأعداد علينا ، واستعبادهم وإذلالهم لنا وفي الآخرة بالنار ، وبئس المصير .
- وتذكر أنها طريق استخراج الطاقات والمواهب التي منحنا الله لتحقيق الخلافة في الأرض ، والتي تبقى كامنة في داخل النفس البشرية ما لم يكن هناك تعويد ، وتدريب . وصبر ومصابرة .
- وتذكر أنها الطريق الذي حمى به المسلمون دولة الإسلام خلال القرون الطويلة الغابرة ، وخير تنظير لذلك الانكشارية فرسان الدولة الإسلامية إبان الخلافة العثمانية ، حيث كان الواحد منهم يقاتل جيشاً وحده ، راجلاً ، وراكباً ، على ظهر فرسه ، أو على جنبه ، أو تحت بطنه وهلم جرا.
- وتذكر أن عدونا أخذ يحي هذا الخلق في داره حتى صار لديه نماذج قوية البأس من المشاة ، والصاعقة ، والمصارعين ، والملاكمين ، والخيالة ، وهو لا يرجون من وراء هذا العمل إلا العلو والفساد والإفساد في الأرض ، وأولى بنا إذن أن نهتم بهذا الأمر ، ونحول وجهة ما هو قائم الآن في الأندية ونحوها إلى أن يكون لله ، ومن أجل إعلاء كلمة الله حتى لا يضيع سعينا هباء أو بدداً .
- وأن نطمئن إلى أن هذا العمل ، والجهد المبذول فيه لا يضيعان هباء وإنما لنا منهما الأجر والمثوبة في الدنيا والآخرة شريطة أن يكونا لله ، ومن أجل إعلاء كلمة الله - عز وجل - إذ يقول صلى الله عليه وسلم (كل شيء ليس من ذكر الله - عز وجل - فهو لغو أو سهو إلا أربع خصال مشي الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعلم السباحة)(1) (من مشى بين الغرضين ، كان له بكل خطوة حسنة)(2).
- وأن نتذكر أن هذه الفروسية عندما تكون نابعة من مهارة وإتقان فإنها تلقي الرعب في قلب العدو ، فيفر تاركاً وراءه كل شيء وحسبنا منفعة لون واحد من ألوان الفروسية ألا وهو الرمي إذ يقول الحافظ ابن القيم : (إن منفعة الرمي ، ونكايته في العدو فوق منفعة سائر آلات الحرب ، فكم من سهم واحد هزم جيشاً ، وإن الرامي الواحد ليتحاماه الفرسان ، وترعد منه أبطال الرجال ،

هذا وإن السهم بريد الموت ، ترسله إلى عدوك فيكفيك مؤونته على البعد ، وقد علم بالتجربة أن الرامي الواحد إذا كان جيد الرمي فإنه يأخذ الفئة من الناس ، الذين لا رامي معهم ، ويطردهم جميعاً ولهذا عند أرباب الحروب : أن كل سهم مقام رجل ، فإذا كان مع الرجل الرامي مائة سهم ، عد بمائة رجل ، والخصم يخاف من النشاب أضعاف خوفه من السيف والرمح ، وإذا كان رجل واحد رام أمكنه أن يأخذ مائة فارس لا رامي فيهم ويغلبهم ، ومائة فارس لا يغلبون رامياً واحداً ، ولهذا ألقى الله من الرعب لصاحب الرمي ـ عند خشخشة النشاب والجعبة ـ ما لم يلقه لصاحب السيف والرمح ، وهذا معلوم بالمشاهدة حتى أن الألف ليفزعون من رام واحد ، ولا يكادون يفزعون من ضارب سيف واحد ، _____

(1) الحديث أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد : كتاب الجهاد : باب في القسي والرماح والسيوف 269/5 من حديث جابر بن عبدالله ، وجابر بن عبيد الله الأنصاري مرفوعاً ، وعقب عليه بقوله : (رواه الطبراني في الأوسط والكبير والبزار ، ورجال الطبراني رجال الصحيح خلا عبدالوهاب بن بخت وهو ثقة).

(2) الحديث أورده ابن القيم في : الفروسية ص240 وعزاه إلى الطبراني في كتاب : (فضل الرمي) عن أبي ذر مرفوعاً .

فصوت الرامـــي المجيد فـي الجيش خير من فئة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة)(1).

- وأضع الآن بين أيدينا نحن المسلمين ولا سيما شبابنا قصة هذا الصحابي الرامي سلمة بن الأكوع ، والذي استطاع وحده أن يقاوم جيشاً وأن يرده على أعقابه خاسراً ، خاسئاً ، وهي واردة في صحيح مسلم ولكننا لا نقرأ يقول سلمة - رضي الله عنه - : قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أربع عشرة مائة ، وعليها خمسون شاة لا ترويها ، قال ، ففقعد رسول الله على جبا الركية - يعني ما حول البئر - فإما دعا ، وإما بسق فيها ، قال : فجاشت - يعني ارتفعت ، وفاضت - فسقينا ، واستقينا ، قال : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا للبيعة في أصل الشجرة ، قال فبايعته أول الناس ، ثم بايع ، وبايع ، حتى إذا كان في وسط في الناس قا ل: (بايع يا سلمة) ، قال : قلت : قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس ، قال : (وأيضاً) ، قال : ورآني رسول الله صلى الله عليه وسلم عزلاً يعني : ليس معه سلاح ، قال : فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم حجفة أو درقة ، - أشبه بالترس ، ثم بايع ، حتى إذا كان في آخر الناس قال : (ألا تبايعني يا سلمة ؟) ، قال : قلت قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس فس أوسط الناس ، قال : (وأيضاً) ، قال : فبايعته الثالثة ، ثم قال لي : (يا سلمة أين حجفتك أو درقتك التي أعطيتك ؟) قال : قلت يا رسول الله لقيني عمي عامر عزلا ، فأعطيته إياها ، قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (إنك كالذي قال الأول : اللهم ابغني حبيباً هو أحب إلى من نفسي) ثم إن المشركين راسلونا الصلح ، حتى مشى بعضنا في بعض ، واصطلحنا ، قال : وكنت تبيعا لطلحة بن عبيد الله ، أسقى فرسه ، وأحسه - يعني أحك ظهرة بالمسحة لأزيل عنه

---

(1) انظر : الفروسية للحافظ ابن قيم الجوزية ص63.

الغبار ونحوه - وأخدمه ، وآكل من طعامه ، وتركت أهلي ، ومالي ، مهاجراً إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال : فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة ، واختلط بعضنا ببعض ، أتيت شجرة ، فكسحت شوكها ، فاضطجعت في أصلها ، قال : فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعون في رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبغضتهم ، فتحولت إلى شجرة أخرى وعلقوا سلاحهم ، واضطجعوا ، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي يا

للمهاجرين ، قتل ابن زنيم ، قال : فاخترطت سيفي ، ثم شددت على أولئك الأربعة ، وهم رقود ، فاخذت سلاحهم ، فجعلته ضغثاً - أي مجموعاً - في يدي ، قال : ثم قلت : والذي أكرم وجه محمد - لا يرفع أحمد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه ، قال : ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وجاء عمى عامر برجل من العبلات - يعني أمية الصغرى - يقال له : مكرز ، يقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس مجفف - يعني عليه ثوب كالجل يلبسه الفرس ليقيه من السلاح - في سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (دعوهم ، يكن لهم بدء الفجور وثناه) ، فعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله : (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) .

قال : ثم خرجنا راجعين إلى المدينة ، فنزلنا منزلاً ، بيننا ، وبين بني لحيان جبل ، وهم المشركون ، فاستغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن رقى هذا الجبل الليلة ، كأنه طليعة للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قال : فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثاً ، ثم قدمنا المدينة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهره - يعني إبله المعدة للركوب وحمل الأثقال - مع رباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، وخرجت معه بفرس طلحة ، انديه ـ يعني أسقبه قليلاً ثم أرعاه - مع الظهر ، فلما أصبحنا إذا عبدالرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاقه أجمع ، وقتل راعيه ، قال : فقلت يا رباح خذ هذا الفرس ، فأبلغه طلحة بن عبيد الله ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المشركين قد أغاروا على سرحه ، قال : ثم قمت على أكمة ، فاستقبلت المدينة ، فناديت ثلاثاً : يا صباحاه ، ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل ، وأرتجز أقول :

أنا ابئن الأكوع والليوم يوم الرضع

قال : فوالله ! مازلت أرميهم وأعقر بهم . فإذا رجع إلى فارس أتيت شجرة فجلست في أصلها . ثم رميته . فعقرت به ، حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه ، علوت الجبل . فجعلت أرديهم بالحجارة . قال : فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا

خلفته وراء ظهري . وخلوا بيني وبينه . ثم اتبعتهم أرميهم . حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحاً . يستحقون . ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراما من الحجارة . يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . حتى أتوا متضايقاً من ثنية فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري : ما هذا الذي أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح . والله ! ما فارقنا منذ غلس . يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدنيا . قال فليقم إليه نفر منكم ، أربعة . قال : فصعد إلى منهم أربعة في الجبل . قال : فلما أمكنوني من الكلام قالت قلت : هل تعرفوني ؟ قالوا : لا ومن أنت ؟ قال قلت : أنا سلمة ابن الأكوع والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم ! لا أطلب رجلاً منكم ألا أدركته . ولا يطلبني رجل منكم فيدركني . قال أحدهم : أنا أظن . قال : فرجعوا . فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخللون الشجر . قال : فإذا أولهم الأخرم الأسدي . على إثره أبو قتادة الأنصاري . وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي . قال فأخذت بعنان الأخرم . قال : فولوا مدبرين . قلت : يا أخرم ! احذرهم . لا يقتطعون حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . قال : يا سلمة ! إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحل بيني وبين الشهادة . قال فخليته . فالتقى هو وعبدالرحمن . قال : فعقر بعبدالرحمن فرسه . وطعنه عبدالرحمن فقتله . وتحول على فرسه . ولحق أبو قتادة ، فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبدالرحمن . فطعنه فقتله . فوالذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لتبعتهم اعدو على رجلي . حتى ما أرى ورائي ، من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولاغبارهم شيئاً . حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء . يقال له ذا قرد . ليشربوا منه وهم عطاش . قال : فنظروا إلى أعدو وراءهم . فخليتهم عنه (يعني أجليتهم عنه) فما ذاقوا منه قطرة . قال : ويخرجون فيشتدون في ثنية . قال : فأعدوا فألحق رجلاً منهم . فأصكه بسهم في نغض كتفه . قال قلت : خذها وأنا ابن الأكوع . واليوم يوم الرضع . قال : يا ثكلته أمه ! أكوعه بكرة . قالت قلت : نعم . يا عدو نفسه ! أكوعك بكرة . قال : وأردوا فرسين على ثنية . قال : فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي ملأتهم عنه . فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ تلك الإبل . وكل شيء استنقذته من المشركين . وكل رمح وبردة . وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم ، وإذا هو يشوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسنامها ، قال : قلت يا رسول الله خلني فانتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته ، قال : فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه في ضوء النار ، فقال : (يا سلمة أتراك كنت فاعلاً ؟) قلت : نعم والذي أكرمك فقال: (إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان) فجاء رجل من غطفان ، فقال : نحر لهم فلان جزور . فلما كشفوا جلدها رأوا غباراً ، فقالوا أتاكم القوم ، فخرجوا هاربين ، فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة . قال : ثم أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمين سهم الفارس ، وسهم الراجل ، فجمعهما لي جميعاً ، ثم أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه على الغضباء راجعين إلى المدينة .. الحديث)(1).

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الجهاد والسير : باب غزوة ذي قرد وغيرها 1433/3 - 1441 من حديث سلمة مرفوعاً به .

الخلق العاشر

وقف حياتهم على الدعوة

إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ

وكان من الأخلاق التي عرفت عن الصحابة ، وكانت من أسباب عون الله وتأييده ونصره لهم : وقف حياتهم على الدعوة إلى الله تبارك وتعالى فلقد سمعوا ربهم يحدد لهم دورهم ورسالتهم في الأرض بقوله : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ

أُمَّـةً وَسَـطًا لِّتَكُونُـواْ شُـهَدَاء عَلَـى النَّـاسِ وَيَكُـونَ الرَّسُـولُ عَلَـيْكُمْ شَـهِيدًا)(البقـرة : 143) ، (مِّلَّـةَ أَبِـيكُمْ إِبْـرَاهِيمَ هُـوَ سَـمَّاكُمُ الْمُسْـلِمِينَ مِـن قَبْـلُ وَفِـي هَـذَا لِيَكُـونَ الرَّسُـولُ شَـهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ)(الحج : 78) .

ويشرح لهم هذا الدور بأنه الدعوة إلى الله المتمثلة في :

1. نصح الناس وإرشادهم والأخذ بأيدهم إلى صراط العزيز الحميد .
2. الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر لمـن لا يجـدي معـه نصـح ، ولا ينفـع معه إرشاد .
3. مقاتلـة أو مجاهـدة الكفـار والمنـافقين الـذين يصـدون عـن سـبيل الله ويبغونهـا عوجاً ، إذ يقول سبحانه :

(وَلْـتَكُن مِّـنكُمْ أُمَّـةٌ يَـدْعُونَ إِلَـى الْخَيْـرِ وَيَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنكَـرِ)(آل عمـران : 104) ، (وَقَـاتِلُوهُمْ حَتَّـى لاَ تَكُـونَ فِتْنَـةٌ وَيَكُـونَ الـدِّينُ كُلُّـهُ لِلّه)(الأنفـال : 39).

بل ويرسم لهم أسلوب الدعوة ، وسبيل نجاحها بقوله .

(ادْعُ إِلَـى سَـبِيلِ رَبِّـكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ وَجَـادِلْهُم بِـالَّتِي هِـيَ أَحْسَـنُ)(النحـل : 125) ، (قُلْ هَـذِهِ سَـبِيلِي أَدْعُـو إِلَـى اللهِ عَلَـى بَصِـيرَةٍ أَنَـاْ وَمَـنِ اتَّبَعَنِـي وَسُـبْحَانَ اللهِ وَمَـا أَنَـاْ مِـنَ الْمُشْـرِكِينَ)(يوسـف : 108) ، (فَبِمَـا رَحْمَـةٍ مِّـنَ اللهِ لِنـتَ لَهُـمْ وَلَـوْ كُنـتَ فَظًّـا غَلِـيظَ الْقَلْـبِ لاَنفَضُّـواْ مِـنْ حَوْلِـكَ فَـاعْفُ عَـنْهُمْ وَاسْـتَغْفِرْ لَهُـمْ وَشَـاوِرْهُمْ فِـي الأَمْـرِ فَـإِذَا)(آل عمـران : 159) ، (خُـذِ الْعَفْـوَ وَأْمُـرْ بِـالْعُرْفِ وَأَعْـرِضْ عَـنِ الْجَـاهِلِينَ)(الأعـراف : 199) ، وسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحض على هذا بقوله :

(مـن دعـا إلـى هـدى كـان لـه مـن الأجـر مثـل أجـور مـن تبعـه لا يـنقص ذلـك مـن أجـورهم شـيئاً)(1) ، (مـن دل علـى خيـر فلـه مثـل أجـر فاعلـه)(2) ، (فـوالله لأن يهـدي الله بـك رجـلاً واحـداً خيـر لـك مـن حمـر الـنعم)(3) ، (مثـل القـائم علـى حـدود الله والواقـع فيهـا كمثـل قـوم اسـتهموا علـى سـفينة فأصـاب بعضـهم أعلاهـا ،وبعضـهم أسـفلها ، وكـان الـذين فـي أسـفلها إذا اسـتقوا مـن المـاء ، مـروا على من

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب اثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة 127/9 ، ومسلم في : الصحيح : كتاب العلم : باب من سن سنة حسنة أو سيئة 2060/4 رقم 16 (2674) ، وأبو داود في : السنن : كتاب السنة : باب لزوم السنة 201/4 رقم 4609 كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً به ، وبنحوه .

(2) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره 1506/3 رقم 133 (1893) ، وأبو داود في السنن كتاب الأدب : باب في الدال على الخير 333/4 رقم 5139 والترمذي في : السنن : كتاب العلم : باب ما جاء في الدال على الخير كفاعله 41/4 - 42 رقم 2671 كلهم من حديث أبي مسعود البدري - رضي الله عنه - مرفوعاً ، وقال الترمذي عقيب حديثه : هذا حديث حسن صحيح) . وللحديث روايات أخرى مقرونة بسبب الورود عند مسلم .

(3) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الجهاد : باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة 57/4 ، 58 ومسلم في : الصحيح : كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل على بن أبي طالب - رضي الله عنه - 1871/4 - 1873 رقم 33 - 35 =

فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ، ونجوا جميعاً)(1) (ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه)(2) ، (بلغوا عني ولو آية)(3).

ورأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبق هذا عملياً ، فيقوم بواجب الدعوة إلى الله ، وتصبح هذه الدعوة هي شغله الشاغل ، في الليل وفي النهار ، في الشدة والرخاء ، في الصحة وفي المرض ، في السفر وفي الحضر ، في كل الظروف وفي سائر الأحايين .

سمعوا ذلك كله ، ورأوه واقعياً حيا يتحرك من دنيا الناس فتحركوا ونهضوا

= والترمذي في : السنن : كتاب المناقب : باب مناقب على بن أبي طالب 638/5 رقم 3724 كلهم من حديث سهل بن سعد مرفوعاً بنحوه ، وبمثله .

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الشركة : باب هل يقرع في القسمة 182/3 ، والترمذي في : السنن : كتاب الفتن : باب منه 470/4 رقم 2173 ، وأحمد في : المسند 269/4 ، 270 ، 273 ، 274 ، كلهم من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - مرفوعاً واللفظ للبخاري ، وعقب الترمذي على حديثه بقوله : (هذا حديث حسن صحيح) .

(2) الحديث جزء حديث طويل أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب العلم : باب قوله صلى الله عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامع ، وباب ليبلغ العلم الشاهد الغائب 26/1 ، 37 ، 38 ، ومسلم

فـي : الصـحيح : كتـاب الحـج : بـاب تحـريم مكـة وصـيدها 987/2 ، 988 ، رقـم 446 كلاهمـا مـن حـديث أبي بكر مرفوعاً .
(3) الحـديث أخرجـه البخـاري فـي : الصـحيح : كتـاب أحاديـث الأنبيـاء :بـاب مـا ذكـر عـن بنـي إسـرائيل 207/4 والترمـذي فـي : السـنن : كتـاب العلـم : بـاب مـا جـاء فـي الحـديث عـن بنـي إسـرائيل 40/5 رقـم 2669 وأحمـد فـي : المسـند 159/2 ، 202 ، 214 كلهـم مـن حـديث عبـدالله بـن عمـرو بـن العاصـي مرفوعاً به وبنحوه .

للقيام بهذا الواجب ، وأحبوه من كل قلوبهم ، ووقفوا عليه حياتهم ، حتى صار شغلهم الشاغل ، وحديث اليقظة ، وحلم المنام :

هذا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يبعث الجنود نحو الشام ، ويؤمر عليهم : يزيد بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، فلما ركبوا مشى معهم ليودعهم حتى بلغ ثنية الوداع ، فقالوا : يا خليفة رسول الله : تمشي ونحن ركبان ، فقال : إني احتسب خطاي هذه في سبيل الله ، ثم جعل يوصيهم فقال : (أوصيكم بتقوى الله ، اغزوا في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، فإن الله ناصر دينه ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تجبنوا ، ولا تفسدوا في الأرض ولا تعصوا ما تؤمرون ، فإذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله فادعوهم إلى ثلاث : فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم ، وكفوا عنهم : ادعوهم إلى الإسلام ، فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم ، وكفوا عنهم ، ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، فإن هم فعلوا فاخبروهم أن لهم مثل ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين وإن هم دخلوا في الإسلام ، واختاروا دارهم على دار المهاجرين ، فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي فرض على المسلمين ، وليس لهم في الفيء والغنائم شيء حتى يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا أن يدخلوا في الإسلام فادعوهم إلى الجزية ، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم ، وكفوا عنهم ، وإن هم أبوا فاستعينوا بالله عليهم ، فقاتلوهم إن شاء الله ، ولا تعرقن نخلاً ، ولا تحرقها ولا تعقروا البهيمة ، ولا شجرة ثمر ، ولا تهدموا بيعة ، ولا تقتلوا الولدان ، ولا الشيوخ ولا النساء ، ويستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستجدون آخرين اتخذوا للشيطان في أوساط رؤوسهم أفحاص فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أعناقهم إن شاء الله)(1).

---

(1) القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 196/1 - 197 من حديث .

وهذا ربعي بن عامر يدخل على رستم - قائد جيوش الفرس - بثياب صفيقة ، وسيف وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ، ودرعه ، وبيضته على رأسه ، فقالوا له : ضع سلاحك ، فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت ، فقال رستم : أئذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بكم؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم

إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ، ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضى إلى موعود الله . قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى ، فقال رستم : قد سمعت مقالتكم ، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال : نعم ، كم أحب إليكم يوماً أو يومين ، قال : لا ، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا ، فقال : ما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث فانظر في أمرك ، وأمرهم ، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، فقال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم ، فاجتمع رستم برؤساء قومه ، فقال : هل رأيتم قط أعز ، وأرجع من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا : معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا ، وتدع دينك إلى هذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال : ويلكم لا تنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأي ، والكلام ، والسيرة ، إن العرب يستخفون بالثياب ، والمأكل ، ويصونون الأحساب ، ثم بعثوا يطلبون في اليوم الثاني رجلا ،

= سعيد بن المسيب نقلاً عن كنز العمال لعلاء الدين المتقي الهندي بهذا اللفظ وبألفاظ أخرى مطولة ، ومختصرة .

فبعث إليهم حذيفة بن محصن ، فتكلم نحو ما قال ربعي ، وفي اليوم الثالث : المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - فتكلم بكلام حسن طويل ، قال فيه رستم للمغيرة : إنما مثلكم في دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل ، فقال : من يوصلني إليه وله درهمان ؟ فلما سقط عليه غرق فيه فجعل يطلب الخلاص فلا يجده ، وجعل يقول : من يخلصني وله أربعة دراهم ، ومثلكم كمثل ثعلب ضعيف دخل حجراً في كرم ، فلما رآه صاحب الكرم ضعيفاً رحمه فتركه ، فلما سمن أفسد شيئاً كثيراً ، فجاء بجيشه ، واستعان عليه بغلمانه ، فذهب ليخرج فلم يستطع لسمنه ، فضربه حتى قتله ، فهكذا تخرجون من بلادنا ، ثم استشاط غضباً ، وأقسم بالشمس لأقتلنكم غداً ، فقال المغيرة ستعلم ، ثم قال رستم للمغيرة ، قد أمرت لكم بكسوة ، ولأميركم بألف دينار وكسوة ، ومركوب ، وتنصرفون عنا ، فقال المغيرة : أبعد أن أوهنا ملككم وضعفنا عزكم ، ولنا مدة نحو بلادكم ، ونأخذ الجزية منكم عن يد وأنتم صاغرون ، وستصيرون لنا عبيداً على رغمكم ، فلما قال ذلك استشاط غضباً)(1).

ولما كان المسلمون بالقسطنطينة ، كان على أهل مصر عقبة بن عامر ، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد ، فخرج من المدينة صف عظيم م الروم ، فصففنا لهم ، فحمل رجل من المسلمين على الروم حتى دخل فيهم ، ثم خرج علينا ، فصاح الناس إليه فقالوا : سبحان الله ، ألقى بيده إلى التهلكة ، فقام أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس ، أنكم لتأولون هذه الآية على هذا التأويل ، إنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، أنا لما أعز الله ـ عز وجل ـ دينه ، وكثر ناصرون ، فقلنا فيما بيننا بعضنا لبعض

---

(1) انظر البداية والنهاية لابن كثير 38/7 وعنه نقل الكاندهلوي في حياة الصحابة 202/1 - 205.

بعضنا لبعض سرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أموالنا قد ضاعت ، فلو أقمنا فيها ، قد أصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ يرد علينا ما هممنا به فقال : (وأنفقوا في سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فكانت التهلكة في الإقامة التي أردنا أن نقيم في أموالنا نصلحها ، فأمرنا بالغزو ، فمازال أبو أيوب ـ رضي الله عنه ـ غازياً في سبيل الله حتى قبضه الله ـ عز وجل ـ وفي رواية (فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية)(1).

ويقول عبدالله بن مغفل ،وأبو ليلى جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه ، فأعطاهما ناضجاً له ، فارتحلاه ، وزودهما شيئا من تمر ، فخرجا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقام علبة بن زيد من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله ثم بكى ، وقال : اللهم إنك أمرت بالجهاد ، ورغبت فيه ، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به ، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه ، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها في مال أو جسد ، أو عرض ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين المتصدق هذه الليلة ؟ فلم يقم أحد ، ثم قال : أين المتصدق فليقم ؟ فقام إليه فأخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر فوالذي نفسي بيده ، لقد كتبت في الزكاة المتقبلة(2).

وهذان ولدان صغيران يقال لهما ابنا عفراء ، يحكى عنهما عبدالرحمن بن عوف يوم بدر فيقول : (إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني ، وعن يساري فتيان

---

(1) انظر : حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف 453/1 - 454 نقلاً عن السنن الكبرى للبيهقي .
(2) انظر البداية والنهاية لابن كثير 5/5 نقلاً عن ابن إسحاق .

حديثا السن فكأني لم آمن بمكانهما ، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه : يا عم أرني أبا جهل ، فقلت يا ابن أخي ما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه ، وقال لي الآخر سرا من صاحبه مثله ، قال : فما سرني أنني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه ، وهما ابنا عفراء)(1).

وهذا شيخ كبير طاعن في السن يقال له خثيمة أبو سعد بن خثيمة ، يقول للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يشاورهم يوم أحد : (يا رسول الله لقد أخطأتني وقعه بدر ، وقد كنت حريصاً عليها لقد بلغ من حرصي أن ساهمت ابني في الخروج ، فخرج سهمه ، فرزق الشهادة ، وقد كنت حريصاً على الشهادة ، وقد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة ، وأنهارها ، وهو يقول : الحق بنا ترافقنا في الجنة ، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً ، وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنة وقد كبرت سني ، ورق عظمي ، وأحببت لقاء ربي ، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ، ومرافقة سعد في الجنة) ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقتل بأحد شهيد)(2).

وهذا شيخ أعرج شديد العرج ، يقال له عمرو بن الجموح ، كان له بنون أربعة مثل الأسد ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا : إن الله قد عذرك ، فأتى رسول الله صلى الله عليه

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب المغازي : باب منه 100/5 من حديث عبدالرحمن بن عوف به .
(2) انظر : المغازي للواقدي 212/1 - 213 (158) انظر : السيرة النبوية لأبن كثير 73/3 - 74.

وسلم وقال : إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أما أنت فقد عذرك الله ، فلا جهاد عليك) ، وقال لبنية : (ما عليكم ألا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة) فخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم فقتل يوم أحد - رضي الله تعالى عنه - (1).

وهذا عمير بن أبي وقاص ، يقول عنه أخوه سعد بن أبي وقاص (رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج إلى بدر يتوارى ، فقلت : ما لك يا أخي ؟ فقال : إني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرني ، فيردني وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة ، قال : فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سعد ، فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره ، فقتل ببدر ، وهو ابن ست عشرة سنة ، قتله عمر بن ود(2).

وأثر عن خالد بن الوليد - رضي الله عنه - قوله : (ما ليلة تهدي إلى بيتي فيها عروس أنا لها محب ، وأبشر فيها بغلام بأحب إلى من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين ، أصبح فيها العدو(3).

وجاء عن أبي طلحة أنه قرأ سورة براءة ، وأتى على قوله تعالى : (أنفروا خفافا وثقالاً) فقال : لا أرى ربنا ألا يستنفرنا شباباً وشيوخاً ، يا نبي جهزوني ، فقالوا له : يرحمك الله ، قد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع معمر حتى مات فدعنا نغزوا عنك ، قال : لا جهزوني ، فغزا البحر ، فمات في البحر ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام ، فدفنوه بها وهو لم يتغير (4) .

---

(1) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد 149/3 - 150 .

(2) الحديث أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد 350/9 وعقب عليه بقوله : (رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح).

(3) الحديث أورده ابن عبدالبر في : الاستيعاب 550/1 من حديث أنس به وأورده ابن سعد في الطبقات الكبرى 507/3 من حديث أنس أيضاً به .

(4) الحديث أورده ابن عبدالبر في الاستيعاب 550/1 من حديث أنس به ، وأورده ابن سعد في الطبقات الكبرى 507/3 من حديث أنس أيضاً به .

وهذه الرميصاء أم سليم يموت زوجها مالك والد أنس ، فيتقدم إليها أبو طلحة يريد أن يتزوجها ، فتقول له : يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض ؟ قال : بلى ، قالت : أفلا تستحي تعبد شجرة ؟ إن اسلمت فإني لا أريد منك صداقاً غيره ، قال : حتى انظر في أمري ، فذهب ثم جاء فقال : أشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا أنس زوج أبا طلحة ، فزوجها(1).

وهذا مصعب بن عمير تملك عليه الدعوة إلى الله أقطار نفسه فيتحمل الأذى والغربة في سبيل الله بحيث يسلم أكثر أهل المدينة بدعوته ، ومعايشته لهم في أقل سنة . والصحابة الذين تفرقوا في كل أنحاء الأرض بعد موته صلى الله عليه وسلم ثم ماتوا ودفنوا ببلاد الغربة إنما كان تفرقهم هذا ، بسبب

حبهم للدعوة الإسلامية وسيطرة هذه الدعوة على كل شيء في حياتهم ، حتى صارت شغلهم الشاغل وبذلك استحقوا عون الله وتأييده لهم .

ونستطيع أن نظفر مثلهم بعون الله وتأييده ونصره ، إذا نحن أحببنا الدعوة إلى الله ، وجعلناها شغلنا الشاغل .

ويساعدنا على ذلك اتباع الخطوات التالية :

1. أن نضع في حسابنا أن الدعوة إلى الله واجب مفروض ، والمؤمنون الصادقون لا يسعهم أمام الواجب المفروض إلا أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون .

---

(1) الحديث أورده الحافظ ابن حجر في : الإصابة 461/4 ، وعزاه إلى أحمد في : المسند من حديث أنس ، وابن سعد في : الطبقات بمعناه ، وعن ابن حجر نقل الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 195/1 - 196 .

2. أن نتذكر الفوائد والمنافع العائدة علينا من وراء الاشتغال بالدعوة إلى الله والتي منها :

أ ـ الراحة والطمأنينة القلبية ، إذ الدعوة إلى الله ذكر ، والله تعالى يقول عن المشتغلين بذكره :(الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(الرعد : 28).

ب ـ النضج الفكري ، واكتساب الخبرات والتجارب مصداقاً لقوله سبحانه : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً) (الأنفال : 29).

ج ـ الاستقامة وحسن الخلق باعتبار أن هذه هي طريق التأثير في الناس وصدق الله الذي يقول : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ)(أل عمران : 159) ، (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {34} وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ {35})(فصلت : 34 - 35).

د ـ القوة البدنية وتمام العافية لقوله صلى الله عليه وسلم : (نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه ليس بفقيه ... الحديث)(1).

هـ ـ تهيئة الجو من حولنا لنحيا نحن وأهلنا ، وأولادنا ، وأحفادنا والناس جميعاً حياة طيبة على ظهر هذه الأرض ، ونفوز غداً بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، إذ يقول سبحانه :

---

(1) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب العلم : باب نشر العلم 322/3 رقم 3660 ، والترمذي في : السنن : كتاب العلم : باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع 33/5 ـ 35 رقم 2656 كلاهما من حديث زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً ، وعقب الترمذي على روايته بقوله : (هذا حديث حسن صحيح).

(الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ)(الحج : 41) .

و - اكتساب أنصار جدد يقوى بهم دين الله ، ويمكن له في الأرض أو على الأقل إقامة الحجة على المصرين والمعاندين كيلا يبقى لهم عذر غداً بين يدي الله سبحانه وتعالى .

يقول سبحانه : (وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)(الأعراف : 164) .

ز - والنجاه من عذاب الله في الدنيا والآخرة ، ثم الظفر بالأجر والمثوبة في الدنيا والآخرة كذلك ، يقول تعالى :

(فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ)(الأعراف : 165) ، (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)(فصلت : 33) ، (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(آل عمران : 104) إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع .

3. دوام النظرة في السيرة النبوية ، والتاريخ الإسلامي لاسيما تاريخ الصحابة ، فإن لهذا النظر الدائم المستمر أثراً كبيراً في الاقتداء والتأسي ، أو على الأقل المحاكاه ، والتشبه .

4. تذكر أن واقعنا الذي نحياه اليوم مبعثه إهمال الدعوة إلى الله مع جدية ونشاط أهل الباطل في الدعوة إلى باطلهم حتى سادوا أو ملكوا .

5. العمل لهذه الدعوة من خلال الجماعة ، وبكل الأساليب والوسائل الممكنة مادامت لا تتعارض مع ديننا الحنيف ، فإن الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب ، ومشروعية الوسيلة جزء من مشروعية الهدف والغاية .

6. تذكر أن الأمم الغابرة ما ضاعت وما أفل نجمها ، وغابت شمسها إلا بإهمال الدعوة إلى الله ، إذ يقول سبحانه :

(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ {78} كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ {79} تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ

وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ {80} وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ {81})(المائدة : 78 - 81) .

7. التذكير الدائم المستمر ، فإن النفس تنسي ، وعلاج هذا النسيان دوام التذكير ، إذ يقول سبحانه : (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى)(الأعلى : 9) ، (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)(الذاريات : 55) .

==========

الخلق الحادي عشر
التكافل فيما بينهم

ومن أخلاق النصر في جيل الصحابة : (التكافل فيما بينهم) أي التضامن لإقامة شرع الله في الأرض فقد سمعوا الحق - تبارك وتعالى - يقول في كتابه : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات : 10) ، وسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(1)، (المؤمن للمؤمن كالبنيان شيد بعضه بعضاً)(2) ، (المؤمنون كرجل واحد ، إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)(3) ، (المسلمون كرجل واحد ، إن اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله)(4).

بل رأوه صلى الله عليه وسلم ينفذ عملياً حين يؤاخي بين المهاجرين بعضهم بعضاً ،

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم 1999/4 - 2000 رقم 2586 (66) من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - مرفوعاً بهذا اللفظ .

(2) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم 1999/4 رقم 2585 من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - مرفوعاً بهذا اللفظ .

(3) (4) الحديثان أخرجهما مسلم في : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم 2000/4 رقم 67 (2586) كلاهما من حديث النعمان بن بشير مرفوعاً بهذا اللفظ .

وبين الأنصار أوسهم وخزرجهم ، وبين المهاجرين والأنصار ، على أن يحمل كل واحد من هؤلاء هم أخيه ، ويأخذ بيده ويعينه على أداء رسالته ، وإقامة شرع الله في الأرض ، سمعوا ذلك ، ورأوه رأى العين فانطلقوا ينفذون ، ويطبقون .

هذا أبو بكر الصديق يتزوج أسماء بنت عميس ليقوم على أمرها ، وأمر صغارها بعد مقتل جعفر بن أبي طالب الطيار في سرية مؤتة وهذا عبدالرحمن بن عوف يتزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط التي هاجرت من مكة وحدها سرا ليقوم عليها فلا تضيع ولا تفتن وهذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يأتيه رجل فيقول : يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة قد رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك ، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك فقال علي - رضي الله عنه - أكتب على الأرض ، فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك ، فكتب : إني محتاج ، فقال علي : على بحلة ، فأتي بها فأخذها الرجل فلبسها ، ثم أنشأ يقول :

كسوتني حلة تبلى محاسنها ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة ... ولست تبغي بما قد قلته بدلاً

إن الثناء ليحيى ذكر صاحبه ... كالغيث يحي نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في خير توفقه ... فكل عبد سيجزى بالذي عملا

فقال علي : على بالدنانير : فأتى بمائة دينار فدفعها إليه . فقال أحد الحاضرين : يا أمير المؤمنين ، حلة ومائة دينار ؟ قال : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أنزلوا الناس منازلهم ، وهذه منزلة هذا الرجل عندي (1).

---

(1) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 207/2 - 208 نقلاً عن كنز =

وهذا عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يأتيه سائل فيقول له :
أتشهد ألا إله الله ، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم قال : وتصوم رمضان ؟ قال : نعم ، قال : سألت وللسائل حق ، إنه لحق علينا أن نصلك ، فأعطاه ثوباً ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من مسلم كسا مسلماً ثوباً إلا كان في حفظ الله ما دام عليه منه خرقة)(1).

وهذا عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يستعمل قدامة بن مظغون ـ رضي الله عنه ـ على البحرين وهو خال حفصة ، وعبدالله بني عمر ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ، ويأتي الجارود سيد عبدالقيس إلى عمر من البحرين ، فيقول : يا أمير المؤمنين إن قدامة شرب فسكر وإني رأيت حدا من حدود الله حقا علي أن أدفعه إليك ، قال : من يشهد معك ؟ قال أبو هريرة ، فدعا أبا هريرة ، فقال : بم تشهد ؟ قال : لم أره شرب ولكني رأيته سكران يقيى ، فقال : لقد تنطعت في الشهادة .

ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين ، فقدم ، فقال الجارود : أقم على هذا كتاب الله ، فقال عمر : أخصم أنت أم شهيد ؟ فقال : شهيد ، فقال : قد أديت شهادتك ، قال : فصمت الجارود ، ثم غدا على عمر فقال :

= العمال الذي عزاه بدوره إلى ابن عساكر ، وأبي موسى المديني في كتاب استدعاه اللباس .

(1) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 208/2 نقلاً عن الفوائد الذي عزاه بدوره إلى الترمذي من حديث ابن عباس بهذا اللفظ .

(2) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 364/2 نقلاً عن : كنز العمال الذي عزاه بدوره إلى البيهقي .

أقم على هذا حد الله فقال عمر : ما أراك إلا خصماً ، وما شهد معك إلا رجل واحد ، فقال الجارود أنشدك الله ، فقال عمر : لتمسكن لسانك أو لأسوءنك ، فقال يا عمر ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر ، وتسوءني ؟ فقال أبو هريرة : يا أمير المؤمنين إن كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فأسألها وهي امرأة قدامة فأرسل عرم إلى هند بنت الوليد ينشدها ، فأقامت الشهادة على زوجها فقال عمر لقدامة : إني حادك ، فقال : لو شربت كما تقول ما كان لكم أن تحدوني فقال عمر : لم ؟ قال قدامة : قال الله - عز وجل - (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ... الأية) ،فقال عمر ، أخطأت التأويل ، إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله ، ثم أقبل عمر على الناس فقال : ما ترون في جلد قدامة ؟ فقالوا : لا نرى أن تجلده ما دام مريضاً ، فسكت على ذلك أياماً ، ثم أصبح وقد عزم على جلده ، فقال : ما ترون في جلد قدامة ؟ فقالوا : لا نرى أن تجلده ما دام وجعاً ، فقال عمر لأن يلقى الله تحت السيباط أحب إلى من أن ألقاه وهو في عنقي ، أئتوني بسوط تام ، فأمر به فجلد فغاضب عمر قدامة ، وهجره ، فحج عمر ، وحج قدامة وهو مغاضب له فلما قفلا من حجهما ، ونزل عمر بالسقيا نام ، فلما استيقظ من نومه ، قال : عجلوا بقدامة ، فوالله لقد أتاني آت في منامي ، فقال لي : سالم قدامة فإنه أخوك ، فعجلوا على به ، فلما أتوه أبى أن يأتي ، فأمره به عمر أن يجروه إليه فكلمه ، واستغفر له (1) .

وهذه عائشة - رضي الله عنها - تقول :

جاء رجل ، فقعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن لي مملوكين يكذبونني ، ويخونونني ، ويعصونني ، وأشتمهم ، وأضربهم ، فكيف أنا منهم ؟

---

(1) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 363/2 - 364 نقلاً عن : الإصابة لابن حجر الذي عزاه بدوره إلى عبدالرزاق .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك ، وكذبوك ، وعقابك إياهم ، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم ، كان كفافاً لالك ، ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل) ، فتنحى الرجل ، وجعل يهتف ويبكي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما تقرأ قول الله : ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين ، فقال الرجل : يا رسول الله ، ما أجد لي ولهؤلاء خيراً من مفارقتهم أشهدك أنهم كلهم أحرار)(1).

وهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يفقد رجلاً من أصحابه ، فيقول لعبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - انطلق بنا إلى منزل فلان فنظر ، فأتيا منزله ، فوجدا بابه مفتوحاً ، وهو جالس ، وامرأته تصب له من الإناء ، فتناوله إياه فقال عمر لابن عوف : هذا الذي يشغله عنا : فقال ابن عوف لعمر : وما يدريك ما في الإناء ؟ فقال عمر : أتخاف أن يكون هذا هو التجسس ؟ قال : بل هو التجسس ، قال : وما التوبة من هذا ؟ قال : لا تعلمه بما اطلعت عليه من أمره ولا يكونن في نفسك إلا خيراً ، ثم انصرفاً(2).

وهذا رجل يأتي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فيقول له : إن لي ابنة كنت وأدتها في الجاهلية - يعني دفنتها حية - فاستخرجناها قبل أن تموت ، فأدركت معنا الإسلام فأسلمت ، فلما أسلمت أصابها حد من حدود الله فأخذت الشفرة لتذبح نفسها ، فأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برئت ، ثم أقبلت بعد

---

(1) الحديث أخرجه أحمد في : المسند 280/6 - 281 من حديث عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً بهذا اللفظ .

(2) القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في حياة الصحابة 420/2 نقلاً عن كنز العمال الذي عزاها بدوره إلى ابن المنذر ، وسعيد بن منصور عن الشعبي .

بتوبة حسنة ، وهي تخطب إلى قوم ، فأخبرتهم من شأنها بالذي كان ، فقال عمر : أتعمد إلى ما ستر الله فتبديه ؟ والله لئن أخبرت بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار ، بل أنكحها نكاح العفيفة المسلمة (1).

ويقول عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - كنت مع عمر في حج أو عمرة ، فإذا نحن براكب ، فقال عمر : أرى هذا يطلبنا ، فجاء الرجل فبكى ، فقال : ما شأنك ؟ إن كنت غارماً أعناك ، وإن كنت خائفاً أمناك ، إلا أن تكون قتلت نفساً فتقتل بها ، وإن كنت كرهت جوار قوم حولناك عنهم ، قال : شربت الخمر وأنا أحد بني تيم ، وإن أبا موسى جلدني ، وحلقني ، وسود وجهي ، وطاف بي في الناس ، وقال : لا تجالسوه ، ولا تواكلوه ، فحدثت نفسي بإحدى ثلاث : إما أن أتخذ سيفاً فأضرب به أبا موسى ، وإما أن آتيك فتحولني إلى الشام فإنهم لا يعرفونني ، وإما أن ألحق بالعدو ، فآكل معهم وأشرب فبكى عمر ، وقال : ما تسرني أنك فعلت ، وإن لعمر كذا وكذا ، وإن كنت لأشرب الناس لها في الجاهلية ، وإنها ليست كالزنى ، وكتب إلى أبي موسى : (سلام عليك، أما بعد : فإن فلان بن فلان التيمي أخبرني بكذا ، وكذا ، وأيم الله إني إن عدت لأسودن وجهك ، ولأطوفن بك في الناس ، فإن أردت أن تعلم حق ما أقول لك فعد ، فأمر الناس أن يجالسوه ويواكلوه ، فإن تاب فاقبلوا شهادته ، وحمله وأعطاه مائتي درهم (2).

ويقول ابن بريدة الأسلمي : شتم رجل عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - فقال ابن عباس . إنك لتشتلي ، وإن في ثلاث خصال : إني لآتي على الآية في كتاب الله ،

---

(1) القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 422/2 نقلاً عن كنز العمال الذي عزاها بدوره إلى هناد ، والحارث عن الشعبي.

(2) القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في حياة الصحابة 427/2 - 428 نقلاً عن كنز العمال الذي عزاها بدوره إلى البيهقي .

فلوددت أن جميع المسلمين يعلمون ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح ، ولعلي لا أقاضي إليه أبداً وإني لأسمع بالغيث قد أصاب من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به سائمة)(1).

وهذا ابن عباس - رضي الله عنهما - يأتيه رجل - وهو معتكف في مسجد رسول الله فيسلم عليه ، ثم يجلس ، فيقول له ابن عباس : يا فلان أراك مكتئباً حزيناً ، قال : نعم يا ابن عمر رسول الله ، لفلان على حق ولاء ، وحرمة صاحب هذا القبر

ما أقدر عليه ، فقال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك ؟ قال : إن أحببت ، قال فانتعل ابن عباس ، ثم خرج من المسجد ، فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ قال : لا ، ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم والعهد به قريب ، فدمعت عيناه ، وهو يقول : (من مشى في حاجة أخيه ، وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين)(2) ، هذا وغيره كثير ...

وهو دال دلالة واضحة على أن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا متكافلين فيما بينهم تكافلاً مادياً ومعنوياً الأمر الذي كان سبباً في استجلاب عون الله وتأييده ونصره لهم .

---

(1) الحديث أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد : كتاب المناقب : باب جامع فيما جاء في علم ابن عباس وما سئل عنه 284/9 من حديث بريدة الأسلمي ، وعزاه إلى الطبراني قائلاً (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح) ، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 430/2.

(2) الحديث أورده المنذري في : الترغيب والترهيب : كتاب الصوم : باب الترغيب في الاعتكاف 151/2 - 152 من حديث ابن عباس مرفوعاً بهذا اللفظ ، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 436/2 - 437.

ونستطيع نحن المسلمين استجلاب عون الله ، وتأييده ، ونصره لنا ، إذا نحن أقمنا علاقاتنا فيما بيننا على أساس من التكافل ، والتعاون بأوسع ما تتضمنه كلمة التكافل والتعاون .

فيسأل بعضنا عن بعض ، ويواسى بعضنا بعضاً مادياً ومعنوياً ، ويظهر بعضنا محاسن بعض أما الآخرين ، وعند غيابنا ، ويستر بعضنا على بعض ، وينصح بعضنا بعضاً ، ولا نخشى في ذلك إلا الله ونأتمر فيما بيننا بالمعروف ، ونتناهى عن المنكر ، ويدعوا بعضنا لبعض في غيابه ، ويفي بعضنا لبعض ولو بعد الممات ، ويصل بعضنا بعضاً ولو بعد الممات ، ولا يتكلف أحدنا للآخر ، ولا يحقر بعضنا بعضاً ، ولا يسلم بعضنا بعضاً ، ولا يقطع بعضنا بعضاً إلى غير ذلك من صور التكافل ، ويعيننا على ذلك :

- النظر في كتاب الله ، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم على الدوام ، فإن فيهما دعوة واضحة وصريحة للمسلمين أن تقوم العلاقة بينهم على أساس من التكافل والتعاون على النحو الذي ذكرنا آنفاً .

- دوام النظر في سيرة الصحابة ، وكيف استطاعوا إحياء هذا الخلق فيما بينهم ، وبسببه كتب الله لهم الغلبة والعز والتمكين ، فإن هذا من شأنه أن يحمل على الاقتداء والتأسي أو على الأقل المحاكاة والتشبه .
- وأن نضع في حسابنا أنه بالتكافل تسمو النفوس وتسقيم بعد أن تتخلص من عيوبها ، بل به نصل إلى غاياتنا الكبرى من أقصر طريق وبأقل التكاليف .
- وأن نتذكر أن علاقات الكافرين تقوم على نوع من التكافل وهو التكافل المادي ، وبسببه تسلموا زمام البشرية اليوم ، مع أنهم على الباطل ، وأولى بنا أن نقوم علاقاتنا على أساس من التكافل بشقيه المادي والمعنوي ولا سيما ونحن على الحق ، ليكتب الله لنا النصر والتمكين .
- وأن نوقن أن أي صورة من صور التكافل نوقعها نحن المسلمين فيما بيننا لا تضيع عند الله هباء ، ولا تذهب سدى ، إذ يقول سبحانه : (مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (النحل : 96) ، وإذ يقول صلى الله عليه وسلم لناس من أصحابه ، وقد جاءوا يشكون إليه قائلين : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفصول أموالهم ، يقول لهم :

(أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة) ، قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ، قال : (أرأيتهم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)(1).

==========

(1) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الزكاة : باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف 697/20 - 698 من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - مرفوعاً بهذا اللفظ .

الخلق الثاني عشر

رعاية حقوق الأخوة

الإسلامية لاسيما العدل والانصاف

وكان من أخلاق النصر في حيل الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - رعاية حقوق الأخوة الإسلامية : من المواساة بالنفس أو المال ، أو بهما معاً . ومن إخفاء المثالب والمعايب ، وإظهار ونشر الفضائل والمحاسن ، ومن الوفاء المتمثل في : إجابة الدعوة . ، والنصيحة بذلاً وقبولاً ، وعيادة المرضى ، وتشييع الجنائز ، والزيارة ، والسؤال ، ومن الدعاء بظهر الغيب ، وترك التكلف إلى غير ذلك من الحقوق ، انطلاقاً من قوله سبحانه :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {10} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {11} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ {12} يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير)(الحجرات : 10-13) .

ومن قوله حكاية عن موسى - عليه السلام - حين كلفه رب العزة أن يذهب إلى فوعون لدعوته ، ورده عن غيه ، وبغيه ، وظلمه ، وطغيانه : (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي {25} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي {26} وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي {27} يَفْقَهُوا قَوْلِي {28} وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي {29} هَارُونَ أَخِي {30} اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي {31} وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي {32} كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً {33} وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً {34} إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا {35})(طه : 25 - 35).

وانطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم :

(إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث) ... إلى أن قال : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يحقره ، التقوى ههنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله ، وعرضه (1).

وقوله صلى الله عليه وسلم : (حق المسلم على المسلم ست) ، قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : (إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه)(2).

وكان من أبرز مظاهر هذه الرعاية : العدالة أو التناصف فيما بينهم ، ومع الأعداء .

هذا أبو بكر الصديق يقوم يوم جمعة فيقول : (وإذا كان بالغداة فاحضروا

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب النكاح : باب لا يخطب على خطبة أخيه 1976/5 رقم 4849 ، وكتاب الأدب : باب ما ينهى عن التحاسد ، والتدابر ، وباب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن 3253/5 - 3254 رقم 5717 ، 5719 ، وكتاب الفرائض : باب تعليم الفرائض 2474/6 رقم 6345 ومسلم في : الصحيح : كتاب البر : باب تحريم الظن والتجسس ، وباب تحريم ظلم المسلم 1985/4 - 1986 رقم 28 - 32 (2563 ، 2564) كلاهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً ، واللفظ لمسلم.

(2) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب السلام : باب من حق المسلم للمسلم رد السلام 1704/4 - 1705 رقم 4،5 (2162) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بهذا اللفظ .

صدقات الإبل تقسم ، ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن ، ويخاطب بذلك خاصته ، ومستشاريه من كبار الصحابة .

فقالت امرأة لزوجها : خذ هذا الخطام ، لعل الله يرزقنا جملاً ، فأتى الرجل فوجد أبا بكر ، وعمر - رضي الله عنهما - قد دخلا إلى الإبل ، فدخل معهما فالتفت أبو بكر فقال : ما أدخلك علينا ؟ ، ثم أخذ منه الخطام وضربه ، فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا الرجل ، فأعطاه الخطام ، وقال : استقد ، فقال له عمر : والله لا يستقيد ، لا تجعلها سنة ، قال أبو بكر : فمن لي من الله يوم القيامة ؟ فقال عمر : ارضه ، فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلة ورحلها وقطيفة ، وخمسة دنانير ، فأرضاه بها(1).

وهذا عمر بن الخطاب يسأل العباس بن عبدالمطلب - رضي الله عنه - داره ليزيدها في المسجد ، فأبى العباس أن يعطيها إياه ، فيقول عمر : لاخذنها ، فيقول له العباس : اجعل بيني وبينك أبي بن كعب ، وفي رواية : حذيفة ، فيقول عمر : نعم ، فيأتيا أبيا ، أو حذيفة ، ويذكرا له الأمر ، فيقول : أوحى الله إلى سليمان بن داود - عليهما السلام - أن يبني بيت المقدس ، وكانت - يعني أرضه - أرضاً لرجل ،

فاشترى منه الأرض ، فلما أعطاه الثمن ، قال : الذي أعطيتني خير أم الذي أخذت مني ؟ قال : بل الذي أخذت منك ، قال : فإني لا أجيز ، ثم اشتراها منه بشيء أكثر من ذلك وصنع الرجل مثل ذلك مرتين ، أو ثلاثاً ، فاشترط عليه سليمان - عليه السلام - أني ابتاعها منك على حكمك ، فلا تسألني : أيهما خير ، قال : فاشتراها منه بحكمه ، فاحتكم اثني عشر ألف قنطار ذهباً . فتعاظم ذلك سليمان - عليه السلام - أن يعطيه ،

---

(1)القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 83/2 - 84 ، نقلاً عن كنز العمال الذي عزاها بدوره إلى البيهقي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - بهذا اللفظ .

فأوحى الله إليه : إن كنت تعطيه من شيء هو لك فأنت أعلم ، وإن كنت تعطيه من رزقنا فأعطه حتى يرضى ، ففعل ، قال : وأنا أرى أن عباساً - رضي الله عنه - أحق بداره حتى يرضى قال العباس : فإذا قضيت لي فإني اجعلها صدقة للمسلمين (1).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : (شرب أخي عبدالرحمن ، وشرب معه أبو مروعة عتبة بن الحارث ، وهما بمصر ، في خلافة عمر - رضي الله عنه - فسكرا ، فلما أصبحا انطلقا إلى عمر بن العاص - رضي الله عنه - وهو أمير مصر فقالا : طهرنا ، فإنا قد سكرنا من شراب سربناه ، قال عبدالله ، فذكر لي أخي أنه سكر ، فقلت : ادخل الدار أطهرك ، ولم أشعر أنهما قد أتيا عمراً ، فأخبرني أخي أنه قد أخبر الأمير بذلك ، فقال : لا تحلق اليوم على رؤوس الناس ، ادخل الدار أحلقك ، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد ، فدخلا الدار ، قال عبدالله : فحلقت أخي بيدي ، ثم جلدهم عمرو ، فسمع بذلك عمر ، فكتب إلى عمرو - رضي الله عنه - أن أبعث إلي بعبدالرحمن على قتب ففعل ذلك ، فلما قدم على عمر جلده ، وعاقبه لمكانه منه ، ثم أرسله ، فلبث شهراً صحيحاً ، ثم أصابه قدره فمات ، فيحسب عامة الناس إنما مات من جلد عمر ، ولم يمت من جلد عمر(2).

وهذا عمر بن الخطاب أيضاً يرسل إلى امرأة مغيبة - يعني غاب عنها زوجها - كان يدخل عليها ، فأنكر ذلك ، فلما أرسل إليها أن أجيبي عمر قالت : يا ويلها مالها

---

(1) القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 85/2 - 86 نقلاً عن كنز العمال ، والطبقات الكبرى لابن سعد بعدة أسانيد ، قائلاً :(بعضها صحيح ، وبعضها حسن).

(2) القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 86/2 نقلاً عن كنز العمال الذي عزاها بدوره إلى عبدالرزاق ، والبيهقي ، وابن سعد .

ولعمر ، فبينما هي في الطريق فزعت ، فضربها الطلق - يعني وجع الولادة - فدخلت داراً ، فألقت ولدها ، فصاح الصبي صيحتين ، ثم مات ، فاستشار عمر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأشار عليه بعضهم أن ليس عليك شيء ، إنما أنت وال ، ومؤدب ، وصمت علي - رضي الله عنه - فأقبل عمر على علي ، فقال : ما تقول ؟ قال : إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأوا رايهم ، وإن كانوا قالوا في هواك ، فلم ينصحوا لك ، أرى : أن دية عليك فإنك أنت أفزعتها ،وألقت ولدها بسببك ، فأمر عليا - رضي الله عنه - أن يقسم عقله - يعني دية الجنين - على قريش ، لأنه أخطأ(1).

وهذا عمر بن الخطاب يأتيه رجل من أهل مصر ، فيقول : (يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم ؟ قال : عذت معاذا ، قال : سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ، ويقول : إنا ابن الأكرمين ، فكتب عمر إلى عمرو - رضي الله عنهما - يأمره بالقدوم ، ويقدم بابنه معه ، فقدم ، فقال عمر : أين المصري ؟ خذ السوط فاضرب ، فجعل يضربه بالسوط ، ويقول عمر : أضرب ابن الأكرمين يقول أنس - راوي الحديث - فضرب والله ، لقد ضربه ، ونحن نحب ضربه ، فما أقلع عنه حتى تمنيت أنه يرفع عنه ، ثم قال للمصري : ضع على صلعة عمرو فقال : مذكم تعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ قال : يا أمير المؤمنين لم أعلم ، ولم يأتني)(2).

وهذا عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - يدعو نبطيا يمسك له دابته عند بيت

---

(1) القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 87/2 ، وعزاها إلى كنز العمال الذي عزاها بدوره إلى عبدالرزاق ، والبيهقي عن الحسن .

(2) القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 88/2 نقلاً عن منتخب كنز العمال الذي عزاه بدوره إلى ابن عبدالحكم .

المقدس ، فأبى ، فضربه ، فشجه ، فاستعدى عليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال له : ما دعاك إلى ما صنعت بهذا ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، أمرته أن يمسك دابتي فأبى ، وأنا رجل في حدة فضربته ، فقال : اجلس للقصاص ، فقال زيد بن ثابت - رضي الله عنه - أتقيد عبدك من أخيك ؟ فترك عمر القود ، وقضى عليه بالدية (1).

وهذا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يقول لعبد له : إني كنت عركت أذنك ، فاقتص مني ، فأخذ بأذنه ، ثم قال عثمان - رضي الله عنه - أشدد يا حبذا قصاص في الدنيا ، لا قصاص في الآخرة (2).

وهذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (يقدم عليه مال من أصبهان فيقسمه على سبعة أسهم ويبصر فيه رغيفاً فيكسره على سبعة ويجعل على كل قسم منها كسرة ، ثم يدعو الأمراء ، والأشياع ، فيقرع بينهم ، لينظر أيهم يعطى أولاً)(3).

وهذا عبدالله بن رواحة - رضي الله عنه - يأتي اليهود من كل عام بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخرص عليهم نخلهم ثم يضمنهم الشطر ، ويشكون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصة ، وأرادوا أن يرشوه ، فيقول لهم : يا أعداء الله تطعموني السحت ؟ والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي ، ولأنتم أبغض إلى من عدتكم من القردة والخنازير ، ولا يحملني بغضي إياكم ، وحبي إياه

---

(1) القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 91/2 نقلاً عن كنز العمال الذي عزاها بدوره إلى البيهقي عن مكحول .

(2) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 106/2 نقلاً عن : الرياض النضرة في مناقب العشرة .

(3) الحديث أورده الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 107/2 نقلاً عن الاستيعاب .

على ألا أعدل عليكم ، فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض(1).

إلى غير ذلك من صور التناصف فيما بينهم الذي هو مظهر أساسي من مظاهر الأخوة الإسلامية ولقد أمدهم الله - عز وجل - لشيوع العدل أو التناصف فيما بينهم على النحو الذي قدمنا بالنصر ، والتمكين في الأرض ، فصاروا سادة الدنيا ، وأئمة العالمين .

ويمكن أن يمدنا الله - عز وجل - بذلك كما أمدهم به أول مرة إذا حرصنا على التحلى فيما بيننا بالعدل والإنصاف ويعيننا على ذلك سلوك السبل الآتية :

- تذكر أن العدل مأمور به مع الأعداء ، والأصدقاء على السواء ، إذا يقول الحق - تبارك وتعالى - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)(النساء : 135) .
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة : 8) ، (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ...)(النحل : 90) ، (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ) (النساء : 58) .
- واليقين بأن هذا العدل هو الذي يوجب عون الله ، وتأييده ، ونصره ، إذ

---

(1) الحديث أورده ابن كثير في : البداية والنهاية 199/4 نقلاً عن البيهقي ، وعن ابن كثير نقل الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 108/2 .

بالعدل قامت السموات والأرض ، كما قال سبحانه : (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ)(المؤمنون : 71) ، (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ {38} مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)(الدخان : 38 - 39) .

وبالعدل يدوم السلطان ، والملك ، إذ جاء في الأمثال : (من جعل العدل عدة طالت به المدة)(1) ، وإذ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (إن الله يقيم الدول العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الدول الظالمة وإن كانت مسلمة)(2) ، وإذ جاء في الحكم : (أحق الناس بدوام الملك واتصال الولاية . أقسطهم بالعدل في الرعية ، واخفهم عنها كلا ، ومؤونة)(3) .

- وتذكر أن العدل أمر به الأنبياء والمرسلون - عليهم الصلاة والسلام - إذ يقول سبحانه : (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)(ص : 26) ، (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ)(المائدة : 49) ، (إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا)(النساء : 105) .

---

(1)انظر : فصول في الإمرة والأمير للشيخ سعيد حوى ص137.

(2)انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 146/28.

(3)انظر : فصول في الإمرة والأمير للشيخ سعيد حوى ص137.

وإذا كان الأنبياء والمرسلون ، وهم الذين لا يتأتى منهم الجور قد أمروا به فكيف بنا نحن الذين لا تمضي علينا إلا وحياتنا ملطخة بصورة من صور الجور والظلم .

- ودوام النظر في سيرة السلف فيما يتعلق بهذا الخلق ، ولا سيما الصحابة على النحو الذي ذكرنا آنفاً .
- والتذكير الدائم بهذا الخلق ، فإن الإنسان من شأنه أن ينسى ، ولا علاج لهذا النسيان إلا بالتذكير ، والتنبيه ، (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)(الذاريات : 55) ، (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى)(الأعلى : 9) .

==========

الخلق الثالث عشر

اليقين بما أخبر به الله ورسوله

من النصر والتمكين (1)

وكان من أخلاق النصر في جيل الصحابة - رضي الله عنهم - اليقين بما أخبر به الله ورسوله من النصر والتمكين ، انطلاقاً من قوله سبحانه : (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ {8} هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ {9})(الصف : 8 ، 9) ،(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا)(النور : 55) ، (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)(غافر : 51) ، (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ {171} إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ {172} وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ {173})(الصافات : 171 - 173) .

ومن قوله صلى الله عليه وسلم : لخباب بن الأرت ، وقد جاء بشكو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما يلقى هو وإخوانه من المشركين ويطلب النصرة ويقول :

---

(1) كان الأولى أن تبدأ هذه الأخلاق بهذا الخلق لأنه الأصل والأساس لها ، ولكن آثرت تأخير هذا الخلق إلى هنا لألفت الأنظار إلى أنه حين تمكن اليقين بما أخبر به الله ورسوله من النصر والتمكين من نفوس هؤلاء الناس أثمر كل الأخلاق التي سبق الحديث عنها ، على حد قوله سبحانه :(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ)(آل عمران : 110). والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو الله لنا ؟ وكان صلى الله عليه وسلم متوسداً بردة له في ظل الكعبة ، فاعتدل وقال له :

(كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض ، فيجعل فيه ، فيجاء بالميشار ، فيوضع على رأسه ، فيشق باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف

إلا أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون)(1) ، (لا يزال ناس من أمتي ظاهرين،حتى يأتيهم أمر الله ، وهم ظاهرون)(2) ، (لا يزال من أمتي أمة قائمة

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام 244/4 ، وكتاب مناقب الأنصار : باب ما لقى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة 65/5 - 57 ، وكتاب الإكراه : باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر 25/8 - 26 ، وأبو داود في : السنن : كتاب الجهاد : باب في الأسير يكره على الكفر 108/3 ، والنسائي في : السنن الكبرى : كتاب الزينة : باب لبس البرود 480/5 رقم 9658 ، وكتاب العلم تحفة الأشراف للمزي 117/3 رقم 3519 ، وأحمد في : المسند 395/6 ، وأحمد في : المسند 395/6 كلهم من حديث خباب مرفوعاً ، واللفظ للبخاري ، غير أن رواية النسائي في : الزينة مختصرة إلى قوله : (ألا تدعو لنا؟).

(2) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب المناقب : باب منه 252/4 من حديث المغيرة بن شعبة مرفوعاً ، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون 125/9 ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب قوله صلى الله عليه وسلم . (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على . الحق لا يضرهم من خائفهم)1523/3 رقم 171 (1921) والدارمي في : السنن : كتاب الجهاد : باب لا يزال طائفة من هذه الأمة يقاتلون على الحق 213/2 ، وأحمد في : المسند 244/4 ، 252 كلهم من حديث المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - مرفوعاً ، واللفظ للبخاري ، وله شواهد عند مسلم : كتاب الإمارة : باب قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم) 1523/3 - 3524 رقم 170 ، 172 ، 174 ، 175 من حديث ثوبان . وجابر بن سمرة ، ومعاوية .

لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله ، وهم على ذلك)(1)،(تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضا ، فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت)(2).

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب فرض الخمس : باب قول الله فأن لله خمسه وللرسول - يعني للرسول قسم ذلك - 103/4 ، وكتاب المناقب : باب منه 252/4 ، وكتاب التوحيد : باب قوله تعالى : ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين 167/9 ، ومسلم في : الصحيح : كتاب الإمارة : باب قوله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم 1524/3 رقم 174 ، 175 كلاهما من حديث معاوية مرفوعاً ، واللفظ للبخاري ، وله شاهد عند مسلم 1523/3 - 1524 رقم 170 ،

171 ، 172 من حديث المغيرة ، وثوبان ، وجاء بن سمرة . وأخرجه أبو داود في : السنن : كتاب الفتن والملاحم : باب ذكر الفتن ودلائلها 450/4 - 452 رقم4252 ضمن حديث طويل من حديث ثوبان وكتاب الجهاد : باب في دوام الجهاد 11/3 من حديث عمران بن حصين مرفوعاً والترمذي في : السنن : كتابالفتن . باب ما جاء في الأئمة المضلين 437/4 رقم 2229 م حديث ثوبان مرفوعاً ، وابن ماجه في السنن : المقدمة : باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم 4/1 - 6 رقم 6 م حديث معاوية ابن قرة ، عن أبيه ورقم 7 من حديث أبي هريرة ، ورقم 8 م حديث أبي عنبة الخولاني ، ورقم 9 من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن معاوية مرفوعاً ، والدارمي في : السنن : باب لا يزال ظائفة من هذه الأمة يقاتلون على الحق 213/2 من حديث عمر بن الخطاب وأحمد في المسند 93/4 ، 99 من حديث معاوية ، 104 من حديث سلمة بن نفيل السكوني ، 244 ، 248 ، 252 من حديث المغيرة بن شعبة مرفوعاً به وبنحوه.

(2) الحديث أخرجه أحمد في : المسند 273/4 من حديث حذيفة مرفوعاً بهذا اللفظ ، وأورده الهيثمي في : مجمع الزوائد : كتاب الخلافة : باب كيف بدأت الإمامة ، وما تصير إليه ، والخلافة ، والملك 188/5 - 189 من حديث حذيفة بن اليمان ، وعقب =

هذا أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يقوم في الناس يوم الردة فيحمد الله ويثنى عليه،ثم يقول:(الحمد لله الذي هدى فكفى،وأعطى فأغنى،إن الله بعث محمد صلى الله عليه وسلم والعلم شريد،والإسلام غريب طريد،قد رث حبله، وخلق عهده،وضل أهله منه،ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم،ولا يصرف عنهم شرا لشر عندهم،قد عدوا كتابهم،وألحقوا فيه ما ليس منه،والعرب الآمنون يحسبون أنهم في منعة من الله لا يعبدونه،ولا يدعونه،فأجهدهم عيشاً،وأضلهم ديناً،في ظلف من الأرض مع ما فيه من السحاب،فختهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم وجعلهم الأمة الوسطى،نصرهم بمن اتبعهم،ونصرهم على غيرهم،حتى قبض الله نبيه عليه السلام فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله عليه،وأخذ بأيدهم،وبغى هلكتهم،(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ {144}،إن من ولكم من العرب منعوا شاتهم،وبعيرهم،ولم يكونوا في دينهم - وإن رجعوا إليه - أزهد مهم يومهم هذا،ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا،على ما قد تقدم من بركة نبيكم صلى الله عليه وسلم وقد وكلكم إلى المولى الكافي،الذي وجده ضالا فهداه،وعائلاً فأغناه،(وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا)،والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده،ويوفي لنا عهده،ويقتل منا شهيداً من أهل الجنة،ويبقى من يبقى منا خليفته،وذريته في أرضه،قضاء الله الحق،وقوله الذي لا خلف له(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ... الآية)،ثم سكت(1).

= عليـــه بقولـــه:(رواه أحمـــد فـــي ترجمـــة النعمـــان والبـــزار أتـــم منـــه،والطبراني ببعضـــه فـــي الأوسط،ورجاله ثقات).
(1)القصة أوردها ابن كثير في:البداية والنهاية311/6 - 312 من حديث صالح بن=

ولما أراد - رضي الله عنه - غزو الروم،دعا عليا،وعمر،وعثمان،وعبدالرحمن بن عوف،وسعد بن أبي وقاص،وسعيد بن زيد،وأبا عبيدة بن الجراح،ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم،فدخلوا عليه،فقال أبو بكر:(إن الله - عز وجل - لا تحصى نعماؤه،ولا تبلغ جزاءها الأعمال،فله الحمد،قد جمع كلمتكم،وأصلح ذات بينكم،وهداكم إلى الإسلام ونفى عنكم الشيطان،فليس يطمع أن تشركوا به،ولا تتخذوا إلها غيره فالعرب اليوم بنوا أم،وأب،وقد رأيت أنه استنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين،ويجعل الله كلمته العليا،مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر،لأنه من هلك منهم هلك شهيداً،وما عند الله خير للأبرار،ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين،مستوجباً على الله ثواب المجاهدين)(1).

ثم يستشير علياً فيقول له:ماذا ترى يا أبا الحسن؟فيجيب علي:أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك،أو بعثت إليهم نصرت عليهم إن شاء الله،فقال:بشرك الله بخير،ومن أين علمت ذلك؟قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناواه،حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون)،فقال أبو بكر:سبحان الله:ما أحسن هذا الحديث،لقد سررتني به سرك الله،ثم إن أبا بكر قام في الناس،فذكر الله بما هو أهله،وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال:أيها

= كسيان،نقلاً عن ابن عساكر،وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في حياة الصحابة:باب اهتمام أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - لقتال أهل الردة،وما نعى الزكاة،ومشاروته المهاجرين والأنصار في القتال،وخطبته في هذا الشأن433/1 - 434 وقال ابن كثير:(فيه انقطاع بين صالح بن كيسان،والصديق،ولكن يشهد لنفسه بالصحة لجزالة ألفاظه،وكثرة ماله من الشواهد).

(1) القصة أوردها الحافظ ابن عساكر في:تاريخ دمشق(127/1 - 128التهذيب) من رواية عبدالله بن أبي أو في الخزاعي بهذا اللفظ،وعنه نقل الكاندهلوي في:حياة الصحابة437/1 - 438.

الناس،إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام وأكرمكم بالجهاد،وفضلكم بهذا الدين على كل دين،فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام،فإني مؤمر عليكم أمراء،وعاقد لكم ألوية،فأطيعوا ربكم،ولا تخالفوا أمراءكم،لتحسن نيتكم وأشربتكم،وأطعمتكم،فإن الله مع الذين اتقوا،والذين هم محسنون(1).

إلى غير ذلك من النماذج الدالة على أن صدق اليقين بوعد الله كان سبب النصر والتمكين ونستطيع نحن المسلمين أن نصل إلى ما وصل إليه هؤلاء من النصر

والتمكين حين نوقن يقيناً لا شك فيه أن وعد الله بالنصر والتمكين آت لا محالة،وإن طال الليل،وعظمت الخطوب ويعيننا على التحلي بهذا اليقين:

- أن نقيس ما وعدنا الله به من النصر والتمكين على ما أخبرنا به سبحانه وتعالى من حقائق في أنفسنا وفي الكون المحيط بنا مثل انقطاع الأوكسجين في طبقات الجو العليا في قوله سبحانه:(فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ)(الأنعام : 125)،ومثل الجزع في وقت الشدة والمنع في وقت الرخاء من كل بعيد عن منهج الله - عز وجل - وذلك في قوله سبحانه:(إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا {19} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا {20} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا {21} إِلَّا الْمُصَلِّينَ {22} الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ {23})(المعارج : 19 - 23)،ومثل دعاء الله - عز وجل - وحده في أوقات الشدائد والمحن،وذلك في قوله سبحانه:(وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ)(الإسراء : 67).

فإن هذه الحقائق صدقها الواقع،ومن صدق خبره فيما نعرف يصدق خبره فيما لانعرف.

---

(1) انظر : تهذيب تاريخ دمشق لابن بدران 128/1،وعنه نقل الكاندهلوي في:حياة الصحابة 439/1 - 440.

- والنظر في سير الأنبياء والمرسلين،وكيف كانت ثقتهم في الله حتى في أشد لحظات المحنة،وفي أحلك الساعات كتطمين موسى عليه السلام لقومه،وقد خافوا العدو من ورائهم والبحر من أمامهم،وفزعوا قائلين:(إن لمدركون)إذ قال:(قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)(الشعراء : 62).

وكتطمين النبي محمد صلى الله عليه وسلم للصديق يوم الهجرة بقوله:لا تحزن إن الله معنا)(التوبة : 40).

فإن مثل هذا النظر له دور كبير في الاقتداء والتأسي ، وصدق الله الذي يقول:(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ)(يوسف : 111).

- وأن الله إذا حجب نصره أو تأييده عن الصالحين من عباده فلمن يعطيه إذن؟أيعطيه للفجار والكافرين،وهو يقول سبحانه:(إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)(الروم:45)، اللهم : لا .

- **وأنه سبحانه مكن بالفعل للصالحين من عباده الذين جمعوا بين عمارة الأرض،والنزول على حكم الله،سواء في هذه الأمة أو في الأمم الماضية،وما وقع ولو مرة يمكن أن يتكرر ألف مرة،ومرة بشرط أن نستكمل عدة النصر والتمكين.**
- **وأن ننعم النظر في آيات الله المنظورة والمسطورة،فإنها تعرفنا بالنعمة،وعظمة المنعم،وحينئذ لا يسعنا إلا الاستسلام له سبحانه وتصديقه في كل ما قاله،وفي كل ما وعد،وصدق الله الذي يقول.(كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ)(النحل : 81).**

الخلق الرابع عشر

الحرص على التفقه في الدين

وكان من أخلاق الصحابة التي كانت سبباً كذلك في جلب النصر والعون والتأييد الإلهي لهم : الحرص على التفقه في الدين .

انطلاقاً من قوله سبحانه : (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا {114})(طه : 114)،(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)(المجادلة : 11)،(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)(فاطر : 28)،(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الزمر : 9)،(شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(أل عمران : 18).

ومن قوله صلى الله عليه وسلم :

(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين،وإنما أنا قاسم والله هو المعطي ... الحديث)(1)(إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين،والهمه رشده)(2)،(الناس معادن،فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في:الصحيح:كتاب العلم:باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين 27/1 - 28،ومسلم في:الصحيح:كتاب الزكاة:باب النهي عن المسألة 718/2 - 719 رقم 98 ، 100 كلاهما من حديث معاوية مرفوعاً.

(2) الحديث أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد 121/1 من حديث ابن مسعود مرفوعاً ، وعقب عليه بقوله : (رواه البزار والطبراني في الكبير ، ورجاله موثقون).

فقهوا)(1)،(اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محبا،ولا تكن الخامسة فتهلك)(2)،(من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً،أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته)(3)،(من طلب علماً فأدركه كتب الله له كفلين من الأحر،ومن طلب علماً فلم يدركه كتب الله له كفلاً من الأجر)(4)(العلماء ورثة أو خلفاء الأنبياء)(5)،(يقول الله - عز وجل - للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده:إني لم أجعل علمي،وحلمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي)(6)،(ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا،ويرحم صغيرنا،ويعرف لعالمنا حقه)(7)،(فضل العلم خير من فضل

---

(1) الحديث أورده الهيثمي في:مجمع الزوائد 121/1 - 122 من حديث جابر بن عبدالله مرفوعاً،وعقب عليه بقوله: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح).

(2) الحديث أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد 122/1 م حديث أبي بكرة مرفوعاً،وعقب عليه بقوله : (رواه الطبراني في الثلاثة - أي في معاجمة الثلاثة - والبزار ورجاله موثقون).

(3) الحديث أورده المنذري في :الترغيب والترهيب كتاب العلم:باب الترغيب في الرحلة في طلب العلم 104/1 من حديث أبي أمامة مرفوعاً،وعقب عليه بقوله:(رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به)،كما أورده الهيثمي في:مجمع الزوائد 122/1 -123 قائلاً:(رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون).

(4) الحديث أورده المنذري في:الترغيب والترهيب 96/1،والهيثمي في:مجمع الزوائد 123/1 كلاهما من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً،وعقباً عليه بقولهما:(رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون).

(5) الحديث أورده الهيثمي في:مجمع الزوائد 126/1 من حديث أبي الدرداء مرفوعاً،وعقب عليه بقوله:(رواه البزار ورجاله موثقون).

(6) الحديث أورده المنذري في:الترغيب والترهيب 101/1،والهيثمي في:مجمع الزوائد 126/1 كلاهما من حديث ثعلبة بن الحكم مرفوعاً،وعقبا عليه بقولهما:(رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون).

(7) الحديث أورده المنذري في:الترغيب الترهيب:كتاب العلم:باب الترغيب في إكرام العلماء 114/1،والهيثمي في:مجمع الزوائد 127/1 كلاهما من حديث عبادة بن الصامت مرفوعاً،وعقب عليه المنذري بقوله:رواه أحمد بإسناد حسن،=

فضل العبادة،وخير دينكم الورع)(1)(لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعه)(2)،(أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً،ثم يعلمه أخاه المسلم)(3)،(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:صدقة جارية،أو علم ينتفع به،أو ولد صالح يدعو له)(4)،(من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة،وإن الملائكة لتضع

اجنحتها رضا لطالب العلم،وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء،وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب،إن العلماء ورثة الأنبياء،إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً،إنما ورثوا العلم،فمن أخذه أخذ بحظ وافر)(5)،وفي رواية أخرى:(وما اجتمع قوم في

= والطبراني والحاكم إلا أنه قال:ليس منا)،كما عقب عليه الهيثمي بقوله:(رواه أحمد والطبراني في الكبير،وإسناده حسن).

(1) الحديث أورده المنذري في:الترغيب والترهيب 93/1 من حديث حذيفة بن اليمان مرفوعاً،وعقب عليه بقوله:(رواه الطبراني في الأوسط،والبزار بإسناد حسن).

(2) الحديث أورده المنذري في : الترغيب والترهيب 97/1 - 98 من حديث أبي ذر مرفوعاً،وعقب عليه بوقله :(رواه ابن ماجه بإسناد حسن).

(3) الحديث أورده المنذري في:الترغيب والترهيب 98/1 من حديث الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً،وعقب عليه بقوله:(رواه ابن ماجه بإسناد حسن من طريق الحسن عن أبي هريرة،لو صح سماع الحسن من أبي هريرة).

(4)الحديث أخرجه مسلم في:كتاب الوصية:باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته 1255/3 رقم 1631 وأحمد في:المسند 372/2 كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً،واللفظ لمسلم.

(5) الحديث أخرجه أبو داود في:السن:كتاب العلم،باب الحث على طلب العلم 285/2،والترمذي في:السنن كتاب العلم،باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة 48/5 - 49 رقم 2682،وابن ماجه في:السنن:المقدمة:باب فضل العلماء 81/1 رقم 223 ، وأحمد في:المسند 196/5 كلهم من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - مرفوعاً بهذا اللفظ وبنحوه.

بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله،ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة،ونزلت عليهم السكينة،وغشيتهم الرحمة،وذكرهم الله فيمن عنده)(1)،(لا حسد إلا في اثنتين:رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق،ورجل آتاه الله الحكمة،فهو يقضي بها ويعلمها)(2)إلى آخر ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن.

ويقين منهم أن الفقه في الدين هو الضابط أو الحارس للمسلم في أي تصرف يأتيه،بحيث لا يقع منه إلا ما يرضى الله - تبارك وتعالى - وقد تجلى حرصهم على التفقه في الدين من خلال الصور أو المظاهر التالية:

1. الحرص الشديد على حضور مجلسه صلى الله عليه وسلم إلى جانب قيامهم بأعمالهم المعاشية من الرعي،أو التجارة،أو الزراعة،أو نحوها فإن تعذر على بعضهم الحضور تناوبوا فيما بينهم مجلسه صلى الله عليه وسلم

كما كان يفعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مع جاره الأنصاري إذ يقول :

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في:الصحيح:كتاب الذكر والدعاء:باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر 2704/4 رقم 38 ، 39 ، وأبو داود في:السنن:كتاب الصلاة:باب في ثواب قراءة القرآن 336/1،والترمذي في:السنن:كتاب القراءات:باب منه 195/5 - 196 رقم 2945،وابن ماجه في : السنن : المقدمة:باب فضل العلماء 82/1 رقم 225 ، وأحمد في : المسند 252/2 ، 406 ، 407 ، 447 كلهم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً وزاد أحمد رواية أخرى من حديث أبي سعيد الخدري.

(2) الحديث أخرجه البخاري في:الصحيح:كتاب العلم:باب الاغتباط في العلم والحكمة 28/1،ومسلم في:الصحيح:كتاب صلاة المسافرين وقصرها:باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه 558/1 - 559 رقم 266 ، 267 ، 268 ، وابن ماجه في:السنن:كتاب الزهد:باب الحسد 1407/2 - 1408 رقم 4208 ، 4209 كلهم من حديث عبدالله بن مسعود ، وعبدالله بن عمر مرفوعاً،وزاد البخاري رواية عن أبي هريرة).

(كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد،وهي من عوالي المدينة،وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً،إذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي،وغيره،وإذا نزل فعل مثل ذلك،فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته،فضرب بابي ضرباً شديداً،فقال:أثم هو؟ففزعت،فخرجت إليه،فقال:قد حدث أمر عظيم،قال:فدخلت على حفصه،فإذا هي تبكي فقلت:طلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟قلت:لا أدري... الحديث)(1).

2. الانصات التام له صلى الله عليه وسلم كيلا يفوتهم شيء مما يقول فقد جاء في الخبر:أنه كان إذا تكلم صلى الله عليه وسلم أطرف جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير،فإذا سكت تكلموا ... الحديث)(2).

3. السؤال عما لم يفهموا،أو المراجعة في الأمور المشكلة للمعرفة الفهم . يقول علي - رضي الله عنه - كنت رجلاً مذاء(3)،فأمرت المقداد أن يسأل النبي صلى

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في:الصحيح:كتاب العلم:باب التناوب في العلم 33/1،ومسلم في الصحيح:كتاب الطلاق:باب في الإيلاء واعتزال النساء 1108/2 - 1110 رقم 31 والترمذي في:السنن:كتاب تفسير القرآن:سورة التحريم420/5 - 423 وأحمد في:المسند 33/1 - 34 كلهم في حديث

عبدالله بن عباس عن عمر بن الخطاب بلفظه،وبمعناه،وعقب الترمذي على حديثه بقول:(هذا حديث حسن صحيح).

(2) الخبر أخرجه الترمذي في:الشمايل المحمدية ص375 بهامش الاتحادات الربانية،للدومي وابن الأثير في:أسد الغابة:باب ذكر صفته وشيء من أخلاقه صلى الله عليه وسلم 33/1 كلاهما من حديث الحسين بن علي ، عن أبيه به.

(3) مذاء أي كثير المذي،والمذي هو البلل اللزج الذي يخرج من الذكر عند ملاعبة النساء ، ولا يجب فيه الغسل،وهو نجس يجب غسله ،ينقض الوضوء،وأما الودي فهو:البلل اللزج الذي يخرج من الذكر بعد البول،وحكمه حكم المذي،انظر النهاية في غريب بالحديث 86/4 ، 202 - 203.

الله عليه وسلم فسأله،فقال:(فيه الوضوء)(1) ، ويقول عبدالله بن أبي مليكة : إن عقبة بن الحارث تزوج ابنة لأبي اهاب بن عزيز ، فأتته امرأة فقالت : إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج ، فقال لها عقبة : ما أعلم أنك أرضعتني ، ولا أخبرتني فركب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فسأله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كيف وقد قيل؟) ، ففارقها عقبة ، ونكحت زوجاً غيره)(2).

ولقد صحب هذه التساؤلات وتلك المراجعات من الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم دقة ، وتنظيماً في الأداء ، توفيراً للجهد والوقت ، فقد جاء في الخبر : أنهم كانوا لا يتنازعون عنده الحديث ، ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أولهم)(3).

4. المعايشة للنبي صلى الله عليه وسلم أو المكث عنده فترة زمنية أو بصفة دائمة للتربية والتعليم .

هذا مالك بن الحويرث يقول : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من قومي ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رحيماً رفيقاً ، فلما رأى شوقنا إلى أهلنا ، قال : ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم ، وصلوا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لك أحدكم

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب العلم : باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال 45/1 ومسلم في : الصحيح : كتاب الحيض : باب المذي 247/1 رقم 17 - 19 ، كلاهما من حديث علي - رضي الله عنه - مرفوعاً ، واللفظ للبخاري .

(2) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : 33/1 ، وأبو داود في السنن 306/3 - 307 رقم 2603 - 2604 ، والترمذي في : السنن 310/2 رقم 1161 كلهم من حديث عقبة بن الحارث مرفوعاً ، واللفظ للبخاري ، وعقب الترمذي على حديثه قائلاً : (حديث حسن صحيح).

(3) الحديث أخرجه الترمذي في : الشمايل المحمدية ص375 ، وابن الأثير في : أسد الغابة 33/1 كلاهما من حديث الحسين بن علي ، عن أبيه بهذا اللفظ .

، وليؤمكم أكبركم)(1).

5. سماعهم من أقرانهم ، وممن هو أحفظ منهم ما يفوتهم :

إذا يقول البراء - رضي الله عنه - ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدثنا أصحابنا عنه ، كانت تشغلنا عنه رعية الإبل)(2).

ويقول ابن عباس - رضي الله عنهما - إن كان الحديث ليبلغني عن الرجل فآتي بابه وهو قائل ، فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح على من التراب ، فيخرج فيراني ، فيقول : يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك ؟ هلا أرسلت إلى فآتيك ؟ فأوقل : لا ، فأنا أحق أن آتيك ، قال فاسأله عن الحديث)(3).

6. كتابة ما يسمعون منه صلى الله عليه وسلم حماية ، وصيانة له من النسيان والضياع ، إذا يقول عبدالله بن عمرو بن العاص : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا : أتكتب كل شيء تسمعه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الرضا والغضب ؟ فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأومأ بأصبعه إلى فيه ، فقال : (اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الآذان : باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد 162/1 - 163 ، ومسلم في : الصحيح : كتاب المساجد : باب من أحق بالإمامة 465/1 - 466 رقم 292 ، 293 كلاهما من حديث مالك بن الحويرث مرفوعاً .

(2) الحديث أخرجه أحمد في : المسند 283/4 ، والحاكم في : معرفة علوم الحديث ص14 كلاهما من حديث البراء بن عازب موقوفاً بهذا اللفظ ، وبنحوه.

(3) الأثر أورده الحافظ ابن كثير في : البداية والنهاية 298/8 نقلاً عن البيهقي ، وعنه نقل الشيخ عبدالفتاح أبو غدة في : صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم ص 37 - 38 .

إلا حق)(1).

ويقول أبو هريرة - رضي الله عنه - ما كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أكثر عنه مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب)(2).

7. حفظ ما أخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة المذاكرة ، وبواسطة التطبيق والتنفيذ .

إذا يقول أنس بن مالك - رضي الله عنه - كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم فنسمع منه الحديث ، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه)(3).

ويقول مجاهد : كنا مع ابن عمر في سفر ، فمر بمكان ، فحاد عنه فسئل لم فعلت؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ففعلت)(4).

---

(1) الحديث أخرجه أبو داود في : السنن : كتاب العلم : باب في كتاب العلم 286/2 . والدارمي في : السنن : المقدمة : باب من رخص في كتابة العلم 125/1 ، وأحمد في : المسند 162/2 ، 192 (15/10 - 16 بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ، وقال عنه : (إسناده صحيح) والحاكم في : المستدرك 105/1 - 106 وقال : (هذا حديث حسن صحيح الإسناد ، والخطيب في تقييد العلم ص 80 - 81 كلهم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً بهذا اللفظ .

(2) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب العلم : باب كتابة العلم 39/1 ، والترمذي في : السنن : كتاب العلم : باب ما جاء في الرخصة فيه 40/5 رقم 2668 ، وقال عقيبه : (هذا حديث حسن صحيح) ، والدارمي في : السنن : المقدمة : باب من رخص في كتاب العلم 125/1 ، وأحمد في : المسند 248/2 - 249 ، 403 كلهم من حديث أبي هريرة موقوفاً .

(3) الأثر أورده الخطيب في : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 169/1 من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بلفظه ، ويزيد الرقاشي - كما يقول الذهبي في الميزان 418/4 ترجمة رقم 9669 - ضعيف .

(4) الحديث أخرجه أحمد في : المسند 32/2 من حديث ابن عمر موقوفاً بلفظه ، وأورده المنذري في : الترغيب والترهيب 82/1 ، وعقب عليه بقوله : (رواه أحمد=

وهذا أبو هريرة - رضي الله عنه - يمر بسوق المدينة ، فيقف عليها ، فيقول : يا أهل السوق ما أعجزكم؟ قالوا : وما ذاك يا أبا هريرة ؟ قال : ذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم ، وأنتم ههنا ، ألا تذهبون ، فتأخذون نصيبكم منه ؟ قالوا : وأين هو ؟ قال : في المسجد فخرجوا سراعاً ، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا ، فقال لهم : ما لكم ؟ قالوا : يا أبا هريرة ، قد أتينا المسجد فدخلنا فلم نر فيه شيئاً يقسم ، فقال لهم أبو هريرة ، وما رأيتم في المسجد أحداً ؟ قالوا : بلى رأينا قوماً يصلون ، وقوماً يقرءون القرآن ، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام ، فقال لهم أبو هريرة : ويحكم فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم(1).

8. الحرص على سؤال بعضهم بعضاً ، وإن اقتضى الأمر الرحلة أو السفر هذا جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - يقول : بلغني عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتريت بعيراً ، ثم شددت رحلي ، فسرت إليه شهراً ، حتى قدمت الشام ، فإذا عبدالله بن أنيس ، فقلت : للبواب ، قل له : جابر على الباب ، فقال : ابن عبدالله ؟ قلت : نعم ، فخرج عبدالله بن أنيس فاعتنقني ، فقلت : حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخشيت أن أموت أو تموت قبل أسمعه فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر الناس يوم القيامة عراة ،

غـرلا ، بهمـاً ، قلنـا : مـا بهمـا ؟ قـال : لـيس معهـم شـيء ، فينـاديهم بصـوت يسـمعه مـن بعـد ، كمـا يسـمعه مـن قـرب ، أنـا الملـك ، أنـا الـديان ، لا ينبغـي لأحـد مـن أهـل الجنـة يـدخل الجنـة ، واحـد مـن أهـل النـار يطلبـه ، بمظلمـة ، ولا ينبغـي لأحـد مـن أهـل النـار يـدخل النـار ، وأحـد مـن أهـل الجنـة يطلبـه بمظلمـة ـ يعنـي لا يـدخل أهـل الجنـة الجنة ، وأهل النار النار إلا بعد

= والبزار بإسناد جيد ، والهيثمي في : مجمع الزوائد 174/1 وعقب عليه بما عقب به المنذري .

(1) الحـديث أورده الهيثمـي فـي : مجمـع الزوائـد 123/1 ، 124 مـن حـديث أبـي هريـرة موقوفـاً بهـذا اللفظ ، وعقب عليه قائلاً : (رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن).

استيفاء المظالم ، وتصفية الحساب ـ قلت : وكيف ؟ وإنما نأتي الله عراة ، بهماً؟ قال : بالحسنات والسيئات ، يعني القصاص يكون بالحسات والسيئات)(1).

إلى غير ذلك من المظاهر والصور الدالة على حرص الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على التفقه في الدين ، الأمر الذي كان سبباً في معرفتهم بأبعاد ومعالم : رسالتهم في الأرض ، والعقبات والمعوقات التي تعترض طريقهم وكيف يتجاوزون هذه العقبات ، وتلك المعوقات ، فسهل عليهم التنفيذ والتطبيق ، وأتاهم عون الله ، وتأييده ، ونصره .

ونستطيع نحن المسلمين أن نظفر بعون الله وتأييده ونصره مثلما ظفر به هؤلاء ، إذا نحن حرصنا على التفقه في الدين مراعين أصول ، وقواعد المنهج العلمي الإسلامي للتعليم والتعلم وأهم هذه الأصول والقواعد فوق ما قدمنا عن الصحابة في هذا الشأن:

1. التأكيد على الدليل ، إذ يقول سبحانه : (قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(البقرة : 111) ، (لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ)(النور : 13) .

2. أن يكون العلم لله ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم :

(لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لتماروا به السفهاء ، ولا تخيروا به المجالس ، فمن فعل ذلك فالنار ، النار)(2) ، (من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله ، لا يتعلمه

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في : الأدب المفرد ص337 ، والخطيب في : الرحلة في طلب الحديث ص53 ـ 55 بروايات مختلفة ، وابن حجر في فتح الباري 174/1 ـ 175 ، وقال عقبه : (وفي هذا الحديث ما كان عليه الصحابة من الحرص على تحصيل السنة النبوية).

(2) الحديث أخرجه ابن ماجه في . السنن : المقدمة : باب الانتفاع بالعلم والعمل به =

إلا ليصيب له عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة)(1)

3. أنه لابد في العلم من العمل ، وإلا نزع الله منه البركة ، فقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم :

(اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها)(2) ، (مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه ، كمثل السراج يضيء للناس ، ويحرق نفسه ... الحديث)(3).

4. وأن الخلاف في الفقه ضرورة لابد منها لكون الفقه منة وهبة من الله - تبارك وتعالى - ولتفاوت العقول ، ولأمور أخرى تتعلق بالدليل وظروف تطبيقه ، وعليه فلابد من رعاية أدب الاختلاف من الاحترام والتوقير ، ومن إعطاء المخالف فرصة ليعد دليله ، وليبين عن وجهة نظره ، وألا نغتابه ولا نسمح بغيبته ، بل نظهر فضائله ومحاسنه في غيابه ، وأن نفرح بانتصاره ، ما دام الهدف مرضاة الله والوصول إلى الحق .

5. عند تعارض العلم القطعي اليقيني مع الظن التخميني ولم يمكن الجمع يقدم

= 93/1 ، وقال عنه البوصيري في : مصباح الزجاجة 37/1 (رجال إسناده ثقات ، ورواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم مرفوعاً ومرسلاً).

(1) الحديث أخرجه ابن ماجه في : السنن : المقدمة : باب الانتفاع بالعلم والعلم به 92/1 - 93 رقم 252 من حديث أبي هريرة مرفوعاً بهذا اللفظ .

(2) الحديث جزء حديث طويل أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب الذكر والدعاء ، والتوبة والاستغفار 2088/4 رقم 2722 من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً بهذا اللفظ .

(3) الحديث أورده المنذري في : الترغيب والترهيب 126/1 - 127 من حديث جندب بن عبدالله الأردي مرفوعاً ، وعقب عليه بقوله : (رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن إن شاء الله تعالى .

القطعي اليقيني ، إذ كل واحد يؤخذ من كلامه ، ويرد عليه إلا المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم .

6. ولا ندخل في علم لا يبنى عليه عمل ، وإلا كنا مضيعين أعمارنا وأوقاتنا.

7. الصبر والتحمل ، إذ يقول سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(آل عمران : 200) ومن يعايش القرآن الكريم ، والسنة والسيرة النبوية ، وينعم النظر في فقه السلف وتطبيقهم يمكنه أن يحصل الكثير من هذه الأصول ، وتلك القواعد ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

==========

من أقولا الأعداد عن أخلاق النصر
في جيل الصحابة

ولا يفوتنا في نهاية الحديث عن أخلاق النصر في جيل الصحابة أن نسجل بعض أقوال الأعداد عن هذه الأخلاق ، ودونك طرفاً مما قالوه :

عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال : خرج جيش من المسلمين أنا أميرهم حتى نزلنا الاسكندرية ، فقال صاحبها : أخرجوا إلى رجلاً منكم أكلمه ، ويكلمني فقلت : لا يخرج إليه غيري ، فخرجت ومعي ترجمان ، ومعه ترجمان - حتى وضع لنا منبران ، فقال : من أنتم ، فقلنا : نحن العرب ، ونحن أهل الشوك والقرظ (1) ، ونحن أهل بيت الله ، كنا أضيق الناس أرضاً ، وأشده عيشاً، نأكل الميتة ، ويغير بعضنا على بعض ، بشر عيش عاش به الناس ، حتى خرج فينا رجل ليس بأعظمنا يومئذ شرفاً ، ولا أكثرنا مالاً ، فقال : أنا رسول الله ،يأمرنا بما لا نعرف ، وينهانا عما كنا عليه وكانت عليه آباؤنا ، فشنفنا له(2) ، وكذبناه ، ورددنا عليه مقالته ،حتى خرج إليه قوم من

---

(1) القرظ : ورق لنوع من الشجر معروف عند العرب باسم : السلم : عظيم الحجم ، له سوق غلاظ أمثال ضجر الجوز ينتمي إلى الفصيلة القرنية ، ويستخرج منه صمغ مشهور ، كما يطلق القرظ على السيادة بعد الهوان ، يقال : قرظ فلان قرظاً : ساد بعد هوان ، ولعل المعنى الأخير هو المراد هنا انظر : النهاية من غريب الحديث والأثر 3/3 ، المعجم الوسيط 728/2 بتصرف .

(2) فشنفنا له : أبغضناه ، وتنكرناه ، يقال : شنف فلاناً ، ولفلان : أبغضه ، وتنكره ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر 238/2 ، المعجم الوسيط 496/1 .

غيرنا ، فقالوا : نحن نصدقك ، نؤمن بك ، ونتبعك ، ونقاتل من قاتلك ، فخرج إليهم ، وخرجنا إليه ، فقاتلناه ، فقتلنا ، وظهر علينا وغلبنا ، وتناول من يليه من العرب ، فقاتلهم حتى ظهر عليهم ، فلو يعلم من ورائي ما أنتم فيه من العيش ، لم يبق أحمد إلا جاءكم ، حتى يشرككم فيما أنت فيه من العيش .

فضحك ، ثم قال : إن رسولكم قد صدق ، قد جاءتنا رسلنا بمثل الذي جاءكم به رسولكم ، فكنا عليه حتى ظهر فينا ملوك ، فجعلوا يعملون فينا بأهوائهم ،

ويتركون أمر الأنبياء ، فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم لم يقاتلكم أحمد إلا غلبتموه ، ولم يتناولكم أحد إلا ظهرتم عليه ، فإذا فعلتم مثل الذي فعلنا ، وتركتم أمر الأنبياء ، وعملتهم مثل الذي عملوا بأهوائهم ، خلى بيننا وبينكم ، فلم تكونوا أكثر منا عدداً ، ولا أشد منا قوة . قال عمر بن العاص : فما كلمت رجلاً أذكر منه (1).

وعن أبي إسحاق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يثبت لهم العدو فواق (2) ناقة عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على أنطاكية لما قدمت

---

(1) اذكر منه : أدهى منه : يقال : رجل مذكر : داهية ، وقيل : جليل خطر أخذاً من قولهم : القرآن ذكر فذكروه : أي جليل خطير فأجلوه ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر 47/2 ، المعجم الوسيط 313/1 ، والخبر أورده الهيثمي في : مجمع الزوائد : كتاب المغازي والسير : باب وقعة الإسكندرية 218/6 من حديث عمرو بن العاص بلفظه ، وعقب عليه بقوله : (رواه الطبراني ، وفيه : محمد بن عمرو بن علقمة ، وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات). كما أورده في : كتاب علامات النبوة : باب ما كان عند أهل الكتاب من أمر نبوته صلى الله عليه وسلم 237/8 - 238 من حديث علقمة بن وقاص قال : قال عمرو بن العاص : أخرج جيش من المسلمين أنا أميرهم ... الخبر ، وعقب عليه بقوله : (رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عمرو بن علقمة ، وهو ثقة)،وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 694/3 - 695.

(2) فواق ناقة : هو ما بين الحلبتين من الراحة ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر 218/3.

منهزمة الروم : ويكلم ، أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشراً ، مثلكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فأنتم أكثر أم أهم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن ، قال : فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ، ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ، نزني ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغضب ، ونظلم ، ونأمر بالسخط ، وننهي عما يرضى الله ونفسد في الأرض ، فقال : أنت صدقتني)(1).

وقال الوليد بن مسلم ، أخبرني من سمع يحيى بن يحيى الغساني ، يحدث عن رجلين من قومه ، قالا : لما نزل المسلمون بناحية الأردن ، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر ، فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك ، فبينا نحن فيها ، إذ أرسل إلينا بطريقها ، فجئناه ، فقال : أنتما من العرب ؟ قلنا : نعم ، قال : وعلى النصرانية ؟ قلنا : نعم ، فقال : ليذهب أحدكما ، ليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ، ورأيهم ، وليثبت الآخر

على متاع صاحبه ، ففعل ذلك أحدنا ، فلبث مليا ثم جاءه ، فقال : جئتك من عند رجال دقاق(2)، يركبون خيولاً عتاقاً(3) ، أما الليل فرهبان ، وأما النهار ففرسان ، يريشون النبل(4) ، ويبرونها ، ويثقفون(5) القنا لو حدثت جليسك حديثاً ما فهمه

(1) القصة أوردها ابن كثير في : البداية والنهاية 15/7 نقلاً عن أحمد بن مروان المالكي في : كتاب المجالسة من حديث أبي إسحاق بهذا اللفظ ، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 695/3 .
(2) دقاق : ليسوا غلاظاً ،إذ الدقيق في اللغة خلاف الغليظ ، انظر : الصحاح في اللغة والعلوم لنديم ، وأسامه المرغشليين ص319.
(3) عتاقاً : أي رائعة تسبق ولا تسبق ، انظر : الصحاح في اللغة والعلوم ص704.
(4) يريشون النبل : يصلحون من حالها ، يقال : رشت فلاناً : أصلحت حاله وهو على التشبيه ، انظر : الصحاح في اللغة والعلوم ص420.
(5) يثقفون القنا : يسوّونها ، ويقومونها . انظر : المرجع نفسه ص122.

عنك ، لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر ، قال : فالتفت إلى أصحابه ، وقال : أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به(1).

وعن عروة قال : لما تدانى العسكران ، بعث القبقلار رجلاً عربياً ، قال : فحدثت : أن ذلك الرجل ، رجل من قضاعة ، من تزيد بن حيدان ، يقال له ابن هزارف ، فقال : ادخل في هؤلاء القوم ، فأقم فيهم يوماً وليلة ، ثم أئتني بخبرهم ، قال : فدخل في الناس رجل عربي لاينكر ، فأقام فيهم يوماً وليلة ، ثم أتاه ، فقال له : ما وراءك ؟ قال : بالليل رهبان ، وبالنهار فرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رجم لإقامة الحق فيهم ، فقال له القبقلار : لئن كنت صدقتني ، لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ، ولوددت أن حظي من الله أن يخلي بيي وبينهم ، فلا ينصرني عليهم ، ولا ينصرهم علي (2).

وعن أبي الزهراء القشيري ، عن رجل من بني قشير ، قال : لما خرج هرقل نحو القسطنطينية ، لحقه رجل من الروم كان أسيراً في أيدي المسلمين ، فأفلت فقال : أخبرني عن هؤلاء القوم ؟ فقال : أحدثك كأنك تنظر إليهم : فرسان بالنهار ، ورهبان بالليل ، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه ، فقال : لئن كنت صدقتني ليرثن ما تحت قدمي هاتين)(3).

(1) القصة أوردها ابن كثير في : البداية والنهاية 15/7 - 16 من حديث يحيى بن يحيى الغساني ، بهذا اللفظ ، وعنه نقل الشيخ : محمد يوسف في : حياة الصحابة 695/3 - 696 .

(2) القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في : حياة الصحابة 696/3 نقلاً عن ابن جرير الطبري في : تاريخه .

(3) القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في حياة الصحابة 697/3 - 698 نقلاً عن ابن جرير الطبري في تاريخه بهذا اللفظ .

وكتب يزدجرد ملك الفرس إلى ملك الصين يستمده ، فقال للرسول : قد عرفت أن حقا على الملوك انجاذ الملوك على من غلبهم ، فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم ، فإني أراك تذكر قلة منهم ، وكثرة منكم ، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذي تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا بخير عندهم ، وشر فيكم ، فقال : سلني عما أحببت ؟ فقال : أيوفون بالعهد ؟ قلت : نعم ، قال : وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم ؟ قلت : يدعوننا إلى واحدة من ثلاث : إما دينهم ، فإن أجبناهم أجرونا مجراهم ، أو الجزية والمنعة ، أو المنابذة .

قال : فكيف طاعتهم أمراءهم ؟ قال : أطوع قوم لمرشدهم ، قال : فما يحلون ، وما يحرمون ؟ فأخبرته ، فقال : أيحرمون ما حلل لهم ، أو يحلون ما حرم عليهم ؟ قلت : لا ، قال : فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً ، حتى يحلوا حرامهم ، ويحرموا حلالهم .

ثم قال : أخبرني عن لباسهم ، فأخبرته ، وعن مطاياهم ، فقلت : الخيل العراب : ووصفتها ، فقال : نعمت الحصون هذه ، ووصفت له الابل وبروكها ، وانبعاثها بحملها ، فقال : هذه صفة دواب طوال الأعناق ، وكتب له إلى يزدجرد : أنه لم يمنعي أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو ، وآخره بالصين : الجهالة بما يحق علي ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم ، لو يحاولون الجبال لهدوها ، ولو خلي لهم سربهم (طريقهم) أزالوني ما داموا على ما وصف ، فسالمهم ، وأرض منهم بالمساكنة ، ولا تهجهم ما لم يهيجوك(1).

---

(1) القصة أوردها الشيخ محمد يوسف في حياة الصحابة 697/3 - 698 نقلاً عن ابن جرير الطبري في تاريخه بهذا اللفظ . هذا وقد أخرت الحديث عن هذا الخلق مع أن الأولى أن يكون في أول هذه الأخلاق لألفت النظر إلى أن صدق الفقه في الدين إنما يعرف بالالتزام لكل الأخلاق التي مضت إذ بركة العلم في العلم .

الخاتمة

وبعد فقد كشفت لنا هذه الدراسة عن نتائج عدة ، وأهما :

1. أن الصحابة - رضي الله عنهم ورضوا عنه - عاشوا أعلا مراتب النصر والتأييد على أنفسهم الأمارة بالسوء ، وعلى أعدائهم من شياطين الجن وشياطين الإنس وعلى الدنيا ببريقها وزخارفها وزيناتها ، بحيث مكن لهم في الأرض بأقل التكاليف وفي زمن يسير .

(2) وأن الله - عز وجل - هو الذي تفضل عليهم بهذا النصر ، وذلك التأييد والتمكين ، إذ له سبحانه مقاليد السموات والأرض ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .

(3) وأن السبب في تفضل الله - عز وجل - عليهم بهذا النصر ، وذلك التأييد والتمكين إنما يرجع إلى إنهم بذلوا ، وبذلوا كل ما يملكون من وقت ونفس ، ومال ، وأهل ، ووطن ، وراحة ، حيث يقول سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)(محمد : 7) ، (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ)(الحج : 40).

(4) وأن بذل الصحابة قد تناول الناحيتين : المادية ، والمعنوية ، الفردية والجماعية كما عم كل طبقات الأمة ، رجالاً ونساءً ، شيباً ، وشباباً ، حكاماً ومحكومين انطلاقاً من قوله سبحانه : (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ)(الأنفال : 60).

5. وأنه سبحانه قادر على أن يمنحنا من النصر والتمكين مثلما منح هؤلاء شريطة أن نبذل مثلما بذلوا ، ونصبر كما صبروا ، وصدق الله إذ يقول : (وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)(الصافات : 173) ، (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)(العنكبوت : 69).

وإذا كان لنا من مقترحات وتوصيات نقدمها في هذا المجال فإن أهم هذه التوصيات ، وتلك المقترحات يتلخص في :

1. أن نولي التاريخ الإسلامي في صورته الصحيحة الوضاءة حقه من الدراسة ، والتحليل والاستنباط ، كي يكون لنا عظة ، وعبرة وزاداً قوياً على الطريق.

2. وأن نركز في هذه الدراسة على هذه القضايا : (بناء النفوس)،(الوحدة)،(الدعوة إلى الله) ، (جهاد الكفار والمنافقين ، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً)،(عمارة الأرض).

وأن نلزم أنفسنا التنفيذ والتطبيق حتى يمنحنا الله ثمرة هذه الدراسة وبركتها ، ويكون النصر والتمكين ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ من تبييضه في مساء الخميس 12 من شوال 1414 هـ الموافق 24 من مارس 1994 م .

وكتب

أبو محمد : السيد محمد نوح

جريدة المراجع

1. الأدب المفرد : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل المعروف بالبخاري ت 256 هـ ، وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف / الإمارات 1401هـ - 1981م.

2. الاستيعاب في معرفة الأصحاب : أبو عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي الأندلسي ت 463هـ ، نهضة مصر ـ الفجالة ـ مصر 1380هـ ـ 1960م.

3. الإصابة في تمييز الصحابة : أبو الفضل أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني ت 852هـ نهضة مصر ـ الفجالة ـ مصر 1383هـ ـ 1962م.

4. البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت 774 هـ ، دار الفكر ـ بيروت ـ (بدون تاريخ).

5. تاريخ الإسلام (قسم المغازي) : أبو عبدالله محمد بن أحمد المعروف بالذهبي ت 748هـ ، دار الكتاب العربي - بيروت الأولى 1411هـ - 1990م.

6. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف : أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المعروف بالمزي ت 742هـ ، الدار القيمة - بمباي - الهند ، المكتب الإسلامي - بيروت .

7. الترغيب والترهيب : زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المعروف بالمنذري ت 656 هـ ، دار إحياء التراث العربي بيروت - الثالثة 1388هـ - 1968م.

8. تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت 774 هـ ، ط . عيسى الحلبي - مصر ، بدون تاريخ .

9. تقييد العلم ، أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي ت 463هـ ، دار إحياء السنة النبوية بيروت 1395هـ - 1975م.

10. تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير : أبو الفضل أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني ت 852هـ ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة 1399هـ - 1979م.

11. تلخيص المستدرك بهامش المستدرك : أبو عبد محمد بن أحمد المعرف بالذهبي ت 748هـ ، دار الكتاب العربي - بيروت .

12. تهذيب تاريخ دمشق : عبدالقادر بدران ت 1346هـ ، دار المسيرة - بيروت الثانية 1399هـ - 1979م.

13. الجماع لأخلاق الراوي وآداب السامع : أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي ت 463 هـ ، الفلاح - الكويت - الأولى 1401هـ - 1981م.

14. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، أو الداء والدواء : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت 751هـ ، مكتبة المدني ـ جدة والقاهرة 1398هـ ـ 1978م.

15. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم أحمد بن عبدالله المعروف بأبي نعيم الأصفهاني ت 430هـ ، السعادة ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

16. حياة الصحابة : الشيخ محمد يوسف المعروف بالكاندهلوي ، دار القلم ـ دمشق الثانية 1403هـ ـ 1983م.

17. الدر المنثور في التفسير بالمأثور : الإمام عبدالرحمن جلال الدين المعروف بالسيوطي ت 911هـ ، دار الفكر ـ بيروت 1403هـ ـ 1983م.

18. الرحلة في طلب الحديث : أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي ت 463هـ ، السلفية ـ بالمدينة 1389هـ ـ 1969م.

19. السنن الكبرى : أبو بكر أحمد بن الحسين المعروف بالبيهقي ت 458 هـ ، دائرة المعارف العثمانية الهند ـ بدون تاريخ .

20. (أ) السنن : (الصغرى) : أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب المعرف بالنسائي ت 303هـ ، مصطفى الحلبي الأولى 1383هـ 1964م.

(ب) السنن : (الكبرى) : أبو عبدالرحمن أحمد بين شعيب بالمعروف بالنسائي ت 303هـ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت الأولى 1411 هـ ـ 1991م.

21. السنن : الإمام سعيد بن منصور ت 227 ، دار الكتب العلمية ـ بيروت الأولى 1405 هـ ـ 1985م.

22. السنن : الحافظ سليمان بن الأشعث المعروف بأبي داود السجستاني ت 275هـ ، دار الحديث ـ بيروت ـ لبنان الأولى 1393هـ ـ 1973م.

23. السنن : أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن المعروف بالدارمي ت 255هـ ، دار إحياء السنة النبوية بيروت ـ بدون تاريخ .

24. السنن : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة المعروف بالترمذي ت 279هـ ، مصطفى الحلبي ـ الأولى 1356هـ ـ 1937م.

25. السنن : أبو عبدالله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه القزويني ت 275هـ ، عيسى الحلبي ـ مصر 1373هـ ـ 1954م.

26. سوانح وتأملات في قيمة الزمن : خلدون الأحدب ، السعودية ـ الأولى 1407هـ.

27. السيرة النبوية : أبو الفداء إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير ت 774هـ ، عيسى الحلبي ـ القاهرة 1385هـ 1965م.

28. الشمائل المحمدية : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة المعروف بالترمذي ت 279هـ ، دار الحديث ـ بيروت الثانية 1405هـ ـ 1985م.

29. الصحاح في اللغة والعلوم : أسامة ونديم المرغشليان ، دار الحضارة العربية ـ بيروت الأولى 1975م .

30. الصحيح : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل المعروف بالبخاري ت 256هـ ، الشعب ـ القاهرة 1378هـ .

31. الصحيح : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت 261هـ ، عيسى الحلبي ـ القاهرة الأولى 1374هـ ـ 1955م.

32. صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل : الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ، الثانية 1394هـ ـ 1974م .

33. صور من حياة الصحابة : الدكتور : عبدالرحمن رأفت الباشا : مؤسسة الرسالة ـ الثامنة 1399هـ ـ 1979م.

34. الطبقات الكبرى : محمد بن سعد المعروف بكاتب الواقدي ت 230هـ ، دار صادر ـ بيروت بدون تاريخ .

35. فتح الباري بشرح صحيح البخاري : أبو الفضل أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني ت 852هـ ، دار صادر بيروت بدون تاريخ .

36. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا المعروف بالساعاتي ، دار الشهاب ـ القاهرة بدون تاريخ .

37. الفروسية : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت 751هـ ، مكتبة دار التراث ـ المدينة المنورة الأولى 1410هـ ـ 1990م .

38. فصول في الإمرة والأمير : الشيخ سعيد حوى .

39. الكامل في التاريخ : أبو الحسن علي بن محمد المعروف بعز الدين بن الأثير الجزري ت 630هـ ، دار الكتاب العربي بيروت ـ الرابعة 1403هـ ـ 1983م.

40. كنز العمال : علاء الدين على المتقي الهندي ت 975هـ ، دار الكتاب العربي ـ بيروت الثانية 1402هـ ـ 1982م.

41. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : نور الدين على بن أبي بكر المعروف بالهيثمي ت 807هـ ، دار الكتاب العربي ـ بيروت الثانية 1402هـ ـ 1982م.

42. مجموع الفتاوى الكبرى : أبو العباس أحمد بن عبدالحليم المعروف بابن تيمية ت 827هـ ، إدارة البحوث العلمية ـ السعودية بدون تاريخ .

43. المستدرك على الصحيحين : أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري ت 405هـ ، دار الكتاب العربي ـ بيروت بدون تاريخ .

44. (أ) المسند : الإمام أحمد بن محمد المعروف بابن حنبل الشيباني ت 241هـ ، المكتب الإسلامي ـ بيروت بدون تاريخ .

(ب) المسند : الإمام أحمد بن محمد المعروف بابن حنبل الشيباني ت 241هـ ، دار المعارف ـ مصر ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، بدون تاريخ .

45. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة : شهاب الدين أحمد بن أبي بكر المعروف بالبوصيري ت 840هـ ، دار العربية ـ بيروت الأولى 1402هـ ـ 1982م.

46. المصنف : أبو بكر عبدالله بن محمد المعروف بابن أبي شيبة ت 235هـ ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ـ كراتشي ـ باكستان 1406هـ 1987م.

47. المصنف : عبدالرزاق بن همام الصنعاني ت 211هـ ، المكتب الإسلامي ـ بيروت الثانية 1403هـ ـ 1983م .

48. المعجم الوسيط في اللغة : الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون : دار إحياء التراث العربي بيروت ـ الطبعة الثانية دون تاريخ .

49. معرفة علوم الحديث : أبو عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري ت 405هـ ، المكاتب التجاري ـ بيروت بدون تاريخ .

50. المغازي : محمد بن عمر المعروف بالواقدي ت 207هـ ، عالم الكتب ـ بيروت بدون تاريخ .

51. الموطأ : الإمام مالك بن أنس ت 179هـ ، عيسى الحلبي ـ القاهرة بدون تاريخ.

52. ميزان الاعتدال في نقد الرجال : أبو عبدالله محمد بن أحمد المعروف بالذهبي ت 748هـ ، دار المعرفة ـ بيروت بدون تاريخ .

53. النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير ت 606هـ ، العثمانية ـ مصر الثانية 1311هـ .

54. الوصـايا الخالـدة : الشـيخ عبدالبـديع صـقر ، مكتبـة وهبـة ـ القـاهرة بـدون تاريخ .